

روايات عبير



جزيرة الحب

جانيت هامبتون

روايات عبير

N 343

إنّما عملية إيفزاز لم يسبق لها مثيل... وإذلال ليس له

حدود...

هل يتأتى لإنسان أن يتبنى مثل هذه المخططات الشيطانية ؟

إنّ جون ماكفارلاند، حوت دنيا المال والأعمال، يقترح على والد
"جودي" صفقة لا يمكن تصديقها :

- سأفتحك القرض الذي تطلبه بشرط أن تترك إبنتك تسافر
معي إلى جزيرتي الخاصة.

وكانت "جودي" على استعداد للقيام بأي شيء لإنقاذ شرف
أسرتها...

وجمعت شجاعتهما وألقت بنفسها في عرين الأسد...

ثمن النسخة

Canada 6 S	قطر ٨ ريال	لبنان ٢٥٠٠ ل.
U.K. 2 £	مسقط ٧٥٠ بيعة	سوريا ٧٥ ل.
U.S.A. 4 S	مصر ٤ جنيه	الأردن ١ دينار
Greece 1500 drs	المغرب ٢٠ درهم	السعودية ٨ ريال
Cyprus 2 £	ليبيا ١ دينار	الكويت ٧٥ فلس
France 20 Fr.	تونس ٢,٥ دينار	الإمارات ٨ درهم
	اليمن ٢٥٠ ريال	البحرين ٧٥ فلس

mjerko

mjerko

الشخصيات

جودي لوفين

ابنة شارل لوفين الذي يمتلك عددا من أكبر شركات الملاحة في الولايات المتحدة . إنها حنون حاملة تحب الأطفال . ولهذا التحقت . بعد الانتهاء من دراستها الجامعية ، بالعمل في إحدى حضانات الأطفال ... إنه المكان الوحيد الذي تجد فيه نفسها وتحقق فيه ذاتها . على الرغم من الأجر الزهيد الذي تتقاضاه ... ولكن القدر أراد غير ما تريد : لقد وقعت عليها مسؤولية إنقاذ أسرتها من الإفلاس . فغادرت عالمها الحبيب إلى جزيرة نائية في البحر الكاريبي حيث يعيش - في عزلة - رجل المال والأعمال الذي يمسك بمصير أسرة آل لوفين بين أصابعه .

جون ماكفارلاند

رجل أعمال ثري يعيش في جزيرته بعيدا عن العالم والناس . اثرت فيه طفولته البائسة تأثيرا بالغا . لقد عرف اليتم منذ ولادته ولم يعلم شيئا عن منيته . لازمه سوء الحظ دائما لأنه لم يجد من يتبناه . وراح يتنقل من ملجأ إلى ملجأ دون أن يرتبط بأحد ... لا يعتمد إلا على نفسه ... يفخر بأنه ارتقى سلم النجاح بمفرده ويقلو قبضته . أسس أولى شركاته وهو في التاسعة عشرة من عمره وأصبح من أصحاب الملايين وهو في الحادية والعشرين ... ومع ذلك فإن النقود في حد ذاتها لا تهمة بقدر ما تهمة القوة التي أوصلته إلى ما هو فيه ...

ملخص الرواية

شاء القدر أن تترك 'جودي' عالمها الحبيب إلى عالم آخر مجهول . كانت تعيش حياتها سعيدة بين أسرته وعملها ... تحب الناس جميعا وخصوصا الأطفال . إلى أن تمت الصفقة المستحيلة : كان عليها لكي تنقذ أسرته من براثن الإفلاس أن تبعد آلاف الكيلو مترات ... تذهب إلى جزيرة مجهولة يملكها حوت من حيتان دنيا المال والأعمال . يكرس حياته كلها للعمل . والعمل وحده . وأصبحت هي سجيننة الجزيرة بعيدة عن كل ما تحب ومن تحب : أسرته . مهنتها . مدينتها .

أما هو . فعلى استعداد لأن يهبها كل شيء . لأنها أصبحت شمس حياته وبيع وجوده ... نعم هو مستعد لأن يمنحها كل شيء ... إلا الحرية . وهي ترفض كل شيء إلا الحرية .

ويأتي الحب أخيرا ... ذلك الساحر القادر على حل جميع المشكلات

الفصل الأول

- يحكى انه في احد الأيام وفي إحدى البلدان البعيدة ... البعيدة جدا ...

كان الأطفال يذققون النظر في 'جودي' لوفين' وهم هادئون تماما وكان على رؤوسهم الطير . كانوا أكثر من عشرين طفلا يجلسون في حلقة من حولها وقد استأثر بهم صوتها الجاد . كانت قد وعدتهم بأن تقص عليهم قصة 'الجميلة والوحش' . تلك القصة التي طالما أثارت أشتجانها منذ المرة الأولى التي استمعت فيها إليها ... إنها لا تزال تذكر تلك اللحظات البعيدة . لقد كانت في ذلك الوقت لا تكاد تبلغ الرابعة من عمرها . تماما كهؤلاء الأطفال الذين هم في عمر الأزهار والذين ينصتون إليها في صمت واهتمام ...

كانت تجد صعوبة كبيرة في تركيز تفكيرها اليوم . فقد تشاجرت مع أبيها في الصباح الباكر وترك ذلك في نفسها أثرا لا يمحي . إنه لم يسبق لها أن احتدت بهذه الصورة على هذا الرجل الذي تحبه حبا عميقا وتحترمه أشد الاحترام ...

إن "شارل لوفين" ، المستعد للدفاع عن آرائه بعناد ، يدير عددا من أكبر شركات الملاحة في العالم ، ويعتبره موظفوه في المكتب طاغية صلب الرأي ... ولكنه طاغية عادل ، بينما كان في منزله رقيقا مسالما ... وهو أب حنون بالنسبة لابنته "جودي" ولابنه الأكبر "بيفيد" ... ولكن ذلك لم يمنعه من الانفجار غضبا صباح اليوم .

- لقد أمضيت سنوات طويلة في الدراسة في أحسن مدارس البلاد ومع ذلك فانت تقتنعين بعملك في حضانة الأطفال .

قال هذه الكلمات الأخيرة وكأنه يتحدث عن مركز للمجذومين .

- إنني أجد نفسي مع الأطفال وهم في هذه السن المبكرة كما يعجبني العمل كثيرا في تلك المدرسة في "مانهاتن" .

وضرب "شارل" بقبضة يده على المائدة قائلا :

- لماذا إذن تقدمت في دراستك إلى هذه المرحلة مادمت تصرين على البقاء في عملك هذا ؟

كانت هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها "شارل" ابنته بهذه اللهجة القاسية وراحت هي تحتسي الشاي ببطء لكسب الوقت .

كانت قد ورثت بعض صفات أمها التي تركت هذا العالم فجأة عندما كانت "جودي" في الثانية عشرة من عمرها ... فكانت تتصف بالهدوء والدعة والحنان والصبر . وارتبطت بوالدها ، بعد وفاة أمها ، ارتباطا شديدا ، ونادرا ما كانت الخلافات تتدخل بينهما .

تقدمت "جودي" بعد الانتهاء من دراستها الجامعية - وكانت الأولى على دفعتها - للعمل في إحدى حضانات الأطفال الواقعة بالحي الذي تطلته وأعجبها الحال إلى درجة أنها طلبت تجديد عقدها . ولم يبد "شارل" وقتئذ أي اعتراض ولا حتى عندما طلبت إدارة الحضانة من "جودي" أن تعمل فيها طوال الوقت ولكن رد فعله كان قاسيا عندما علم أن أجراها يعتبر هزلا جدا إذا قورن بأجر من حصلوا على نفس درجتها العلمية ...

قالت "جودي" محاولة تهدئة الأمور :

- لقد مضت عدة أشهر وأنا أعمل عندهم ... وانت لم تعترض حتى

الآن ...

وتنهذ يائسا :

- كنت أمل أن تتمردتي سريعا على الأوضاع هناك .

وحاولت "جودي" أن تخفي ابتسامتها .

وصاح "شارل" :

- لا أدري ما يوجب الضحك ، ومن المؤسف حقا أنك لا تحاولين الاستفادة من درجتك العلمية .

- نعم يا أبي ...

ووضعت فتجان الشاي على المائدة وهي تشير إلى "بنكلي" ، وأسرع رئيس الخدم الإنجليزي لحمل الصينية والأكواب وهو يغمز بعينه لـ "جودي" تأييدا لموقفها .

ومرت لحظات صمت قالت "جودي" بعدها :

- هل نحن في حاجة حقا إلى هذه النقود ؟

وانتابها الأسف فجأة لأنها تكلمت بهذه اللهجة فقد ثار "شارل" ثورة عارمة :

- إنني أظالك بتقديم استقالتك اليوم ... مفهوم ؟

والقى بالمنشفة على المائدة ثم نهض وأسرع بمغادرة الغرفة .

وظلت "جودي" قابعة في مكانها عدة لحظات قبل أن ت تلف بدورها غاضبة ثائرة ، وكادت تلقي بمقعدها من طراز (جورج الثاني) بعيدا .. إن اثاث المنزل كان ينتقل من جيل إلى جيل في أسرة آل "لوفين" ... وكان بعض هذا الأثاث يعتبر ثروة حقيقية إذا بيع لأحد تجار العاديات القديمة .. وظهر "بنكلي" في هذه اللحظة وهو جامد الوجه ومتحفظ كعادته دائما ، ووجه حديثه إلى "جودي" محاولا تهدئتها :

- أنا واثق يا أنسة أنه لا يعني كلمة واحدة مما قاله .

ونظرت إليه "جودي" لحظة صامدة .. إن "بنكلي" لا يمكنه أن يتخلى لحظة واحدة عن جموده وتحفظه ... ذلك الجمود والتحفظ الذي تفرضه عليه مهنته ، وكان يهرب من القسب مع مخبوميته ، ولكنه كان يعمل عند "شارل لوفين" منذ مولد طفليه ، ولم يتخل أبدا عن روح المودة التي ربطت بينه وبينهم .

وقالت له "جودي" وهي تتنهذ :

- شكرا يا 'بنتلي' ...

وغمز لها بعينه وكأنه يقول لها إنها : تستطيع أن تعتمد على تفهمه للأمور وعلى مساعدته لها .. إن والدتها عندما يعود هذا المساء سوف يعتذر لها عن غضبه ، أما هي فسوف تقبل اعتذاره بقلب راض وحب .

- آنسة 'جودي' ... آنسة 'جودي' .

أعادت لها 'تامي' - الطفلة الصغيرة التي لا تتعدى الرابعة من عمرها إلى دنيا الواقع وهي تحيط عنقها بذراعها وتقبلها على حبيبها .
- ما أجمل هذه القصة يا آنسة .

وأجابت 'جودي' باسمه ردا على فورة الحماس هذه :

- أنا أحب هذه القصة مطلقا تماما .

- هل أحببت الجميلة الوحش إلى نهاية الزمان ؟

- بكل تأكيد !

- وهل رزقا بالكثير من الحيوانات معا ؟

انفجرت 'جودي' ضاحكة :

- إنك تفسين يا عزيزتي أن الوحش انقلب إلى إنسان في نهاية القصة .

وقالت 'جينيفر' ، أكثر الأطفال رومانسية :

- لقد حولته بحبها إلى إنسان من بني البشر .

وعقد 'بوبي' ، الطفل الأشقر الشعر ذو العينين الزرقاوين ذراعيه فوق صدره ثم قال وهو عابس الوجه :

- ألا تعرفين بعض القصص البوليسية .. فانا سأصبح شرطيًا عندما أكبر ..

وعاشت 'جودي' بشعره وهي تقول :

- سأحاول أن أجد إحدى هذه القصص غدا ... من أجلك أنت وحدك ... والآن أريدكم أن ترسموا بعض المشاهد المستوحاة من القصة التي سريتها عليكم .

وارتفعت أصوات الأطفال في بهجة وحبور وأسرع كل منهم لياخذ مكانه أمام المكتب الذي يخصه ، في حين راحت 'جودي' تخرج أدوات

الرسم من الصوان .

وقالت 'جينيفر' التي كانت تقف خلف 'جودي' ، ولم تسرع كتابتي الأطفال إلى مكانها :

- اتعرفين ماذا أحببت في قصة اليوم ؟

كانت 'جودي' تأخذ 'مريلتها' من فوق المشجب وتحاول ارتداعها وتوقفت فجأة ووضعت يدها في حنان فوق ذقن الطفلة التي اندفعت قائلة :

- الطريقة التي أهدت بها الجميلة الصيف للغابة التي يعيش فيها الوحش .

وقالت 'جودي' :

- إن رقتها وحنانها هما السبب في تحقيق المعجزة .

وقالت 'جينيفر' :

- وحبها أيضا .

وأجابتها 'جودي' :

- نعم ... وحبها أيضا .

- هذا هو التقرير الذي طلبته ياسيدي .

ورفع 'ماكفارلاند' عينيه عن الملف المالي الذي كان منهكما في دراسته وقال :

- ضعه هنا ...

قال ذلك وهو يشير إلى مكان محدد من مكتبه الضخم . وانتظر حتى غادر مساعده 'ألبي اندرسون' المكان وأسرع يتناول الظرف الأسود الضخم وراح يبحث بين محتوياته عن الصورة التي كان يعلم أنها تصاحب الوثائق ... صورة 'جودي لوفين' .

كان قد حصل ، منذ شهرين تقريبا بطريق المصادفة على صورة مماثلة تصاحب مقالا اجتماعيا بجريدة 'نيويورك تايمز' ، ولكن صورة الملف كانت أجمل بكثير من صورة المقال ... لقد وجد أن هذه الفتاة

الشابة جميلة وجذابة إلى درجة كبيرة ، فمن النادر أن يجد من تتمتع مثلها بنفس الدرجة من الرقة والجانية .

تغير الموقف فجأة وبرزت في خياله صورة "شارل لوفين" واختفت صورة ابنته .. وارتسمت على وجه "ماكفارلاند" علامات الإعجاب والاستياء في نفس الوقت : لقد انتقلت وجهات نظره مع "لوفين" أثناء لقائهما الأول ولكن تجرأ "لوفين" بعد ذلك وواجهه بتحد إن القليلين جدا من الرجال هم الذين وقفوا مثل هذا الموقف معه في الأيام الأخيرة وفكر "ماكفارلاند" فيما بينه وبين نفسه : يجب أن يتوخى الحذر ، فمن الممكن أن يقتابه الندم ..

إن شركات الملاحة التي تشبه شركات "لوفين" بدأت أرباحها تنخفض خلال السنوات العشر الأخيرة . لقد أحست بعض هذه الشركات بقرب تغير الأوضاع وأسهرت في تغيير نشاطها ، والبعض الآخر ، ومن بينها شركات "لوفين" ، رفضت توسيع مجال نشاطها ، وهي تعض اليوم أصابع الندم ...

ضم "ماكفارلاند" ما بين حاجبيه : لقد خضع جميع منافسي "لوفين" للضغوط التي مارسها ضدهم ... وكان "لوفين" هو آخر من وقف صامدا لمواجهة ذلك على الرغم من أنه باع الجزء الأكبر من ممتلكاته ليتفادى إعلان الإفلاس ... وسوف يضطر في القريب العاجل إلى التصرف في الممتلكات العائلية ...

فكر "ماكفارلاند" أنه يأسف من أجله ، ومع ذلك فهو يود الاستيلاء على شركة "لوفين شيبنج لاينز" منذ وقت طويل ولا يحس بأي شفقة تجاه صاحبها ، ولكنه على الرغم من ذلك لا يخفي إعجابه بصلابة وشجاعة هذا الرجل ... وعلم وهو يتصفح وثائق الملف أن "لوفين" تقدم بطلب قرض كبير من أحد بنوك نيويورك وهز رأسه راضيا وهو يبتسم : إنه أحد المساهمين في هذا البنك ، كغيره من البنوك الكثيرة في "مانهاتن" .

ضغط على زر التليفون الداخلي وطلب "أفري" ، ولما دخل هذا الأخير بابه قائلا :

- اجلس يا أفري ، هل اطلعت على هذا التقرير ؟

- نعم بكل تأكيد .. يبدو أن "ديفيد لوفين" ، ابن شارل وخليفته ، يتمتع بسعة طيبة في أوساط الأعمال النيويوركية . وأن الأموال لم تفسد أخلاق أبناء "لوفين" .

- هذا صحيح ويبدو أن "ديفيد" هذا سيكون له مستقبل لامع .
- إن الكثيرين يعتقدون أنه إذا نجحت خطوط ملاحه "لوفين" في الصعود سنة أخرى ...
وقاطعه "ماكفارلاند" قائلا :

- نعم ... نعم ... أعلم ذلك ... إن الكونجرس يبحث إصدار قوانين جديدة لمساعدة شركات الملاحة الأمريكية التي تعاني الصعوبات المالية ، و"لوفين" نفسه يتوحي الاستفادة من المساعدات الحكومية .
- إن الأب والابن يبذلان أقصى الجهد للصعود حتى تمد لهما "واشنطن" يد المساعدة .

وقال "ماكفارلاند" بصوت منخفض :

- إنني أسف من أجلهما ...

- لماذا ؟

- لأنه من المتوقع ألا يحصلوا على القرض الأخير الذي طلباه لمساعدتهما على الاستمرار والصعود .
- هل هذا ما تنوي عمله ؟

إن "أفري" يكشف بهذا السؤال عن عدم رضائه ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يفعل فيها ذلك منذ قيامه بالعمل عند "ماكفارلاند" ... إن هذا الأخير يعتبر ، في نظر الجميع رجلا مجردا من الضمير ولا قلب له ... ولكن ذلك كله لا يهمه في شيء ... إنه يسخر من آراء الجميع ... نهض فجأة وراح يقطع أرض الغرفة نهابا وجينة : من حسن حظ "ديفيد لوفين" أنه يستطيع الاعتماد على الإرث العائلي ، ولا يستطيع "ماكفارلاند" أن يقول ذلك عن نفسه .. إنه يتيم منذ ولادته ولا يعلم شيئا عن منيته ، وقد لزمه سوء الحظ دائما لأنه لم يجد من يتبناه ... ولهذا راح يتنقل من ملجأ إلى ملجأ دون أن يرتبط بأحد أو يستطيع الاعتماد على أحد غير نفسه .

إنه يفخر بأنه ارتقى سلم النجاح بمفرده وبقوة قبضته ... وبلغ

- اتصل به في أقرب فرصة ممكنة وقدم له الإنذار الأخير : فليرسل لي ابنته إذا أراد تفادي الإفلاس .
 والتقط الصورة من فوق المكتب .
 - إنها تدعى 'جودي' على ما أظن ... نعم 'جودي' .
 ومن فرط الدهشة سقط 'بلوك نوت' الملاحظات من يد 'أفري' ، ولكنه انقلبه بسرعة وعاد إلى مجلسه .
 - أنا ... أنا ... يصعب علي فهمك يا سيدي ...
 - لقد سمعت ما قلته ... اليس كذلك ؟
 - ولكن يا سيدي ...
 - في مقدوره ، بطبيعة الحال ، الاعتماد على بعض الضمانات التي سوف نقاشرها فيما بعد ... فانا لست وحشاً ..
 - ولكن يا سيدي ... إن أحدا لم يسمع من قبل عن ... إن أي رجل عاقل ... لابد وأن ...
 - أعلم أن هذه الوسائل تبدو ملتوية .
 - هذا أقل ما يقال عنها .
 أدخلت دهشة 'أفري' وذهوله الغيطة على قلب 'ماكفارلاند' ، ومرت دقائق طويلة قبل أن يستطيع المسكين النطق من جديد .
 - سوف تلوث الأنسة الشابة .
 - لا أشك في ذلك .
 - ولكن ...
 - سوف تسلك نفس سلوك نساء عصرها ... إن صالون الطابق السفلي في حاجة إلى طلاء جدارته ... سوف أعيد لها حريرتها حينما أزهدها ... دع عنك هذا التهمول يا 'أفري' ... فانا رغم كل شيء 'جنتلمان' ... هل تشك في ذلك ؟
 - سيدي ، إنتي ...
 - كفاك كلاماً ... لقد فهمت ... لم أعد في حاجة إليك يا 'أفري' ، وأخطرتني عندما يعطيك 'كوفين' الرد على هذا العرض .
 - يمكنك أن تعتمد علي يا سيدي ...
 * * *

هذه الدرجة من الشهرة التي يتمتع بها اليوم . لقد حصل على منحة سمحت له بإتمام دراسته بنجاح كبير . وأسس شركته الأولى وهو لا يزال في التاسعة عشرة من عمره وأصبح من أصحاب الملايين وهو في الحادية والعشرين من عمره ... وهو يعد اليوم ، وهو في السادسة والثلاثين ، ضمن كبار أثرياء العالم ... ولكنه على الرغم من ذلك - الأمر الذي يثير الدهشة والعجب - لا يهتم بالنقود : إنه متعلق بالممتلكات التي حصل عليها بواسطة هذه النقود مثل منزله ، وطائرته وجزيرته الخاصة ... وكان القوة التي أوصلته لما هو فيه الآن ، ابتداءً من الصفر ، هي التي تهمة من وجهة نظره .
 وقال 'أفري' قاطعاً سئسلة أفكار مخدومه :

- ربما كان من الأفضل أن تعطني لنفسك فترة أخرى للتفكير .
 وأنتبه 'ماكفارلاند' الذي كان قد نسي تماماً وجود مساعده معه في المكتب ، وهز رأسه وهو يشير إلى هذا الأخير بالانصراف .
 وعندما أصبح بمفرده خرج إلى الشرفة الكبيرة وراح يتأمل الأمواج الزرقاء وهي تعانق الشاطئ بهدوء على بعد مائة متر فقط من موقع قدميه . لقد اشترى هذه الجزيرة التي تقع في البحر 'الكاريبي' منذ ثلاث سنوات ونصف السنة وأسمها جزيرة 'سان ستيفن' : إنه يشعر هنا بالأمان بعيداً عن خضم الشائعات التي تسير جنباً إلى جنب مع الشهرة .

راحت الرياح تعبث بسطح الماء وترسم عليه بعض التجمعات العميقة وتحمل إليه رائحة أعشاب البحر ... ومد لسانه متحسناً شفتيه وأحس بطعم الملح .
 وانتهت فاميلات 'ماكفارلاند' إلى حد بدأ له غير متوقع . فعاد مسرعاً إلى مكتبه يستدعي مساعده من جديد .
 - نعم يا سيدي .

وبعاد 'ماكفارلاند' للجلوس .
 - ترى ماذا تعني شركات الملاحه بالنسبة لـ 'كوفين' الهرم ؟
 - كل حياته بالتاكيد .
 وهز 'ماكفارلاند' رأسه .

عادت 'جودي' من عملها بعد ظهر تلك اليوم وهي مجهدة مشتتة التفكير . وابتسمت لـ 'بنّلي' وهو يساعدها في خلع معطفها .
وسألته محاولة التخلص من القلق الذي انتابها طوال فترة الصباح :

- هل عاد أبي من عمله ؟

- لا يا أنستي ، لابد أن العمل احتجزه بالمكتب .

والقت 'جودي' نظرة إلى ساعتها . وأضافت قائلة :

- حسن ... سانتظره في المكتبة .

- هل تريدان أن احضر لك قنجاناً من الشاي ؟

وأجابت 'جودي' وهي تبعد :

- نعم .

إن تأخر والدها في الخارج يؤكد الشكوك التي انتابتها طوال اليوم .
إن بعض المشكلات الجادة هي التي بقعه ، بدون شك ، إلى الغضب
والذويرة صباح اليوم ... ومهما كانت طبيعة هذه المشكلات فسوف
تساعده قدر جهدها على حلها ، وإذا كان عليها من أجل تلك أن تتخلى
عن عملها في الحضانة ، فلن تثريد لحظة واحدة ...

راحت تتأمل صفوف الكتب التي قام الـ 'لوفين' بتجليدها تجليداً
فاخراً وهي تساوي اليوم ثروة صغيرة ... كانت صورة والبتها المعلقة
فوق المدفأة ، تبسم لها ... لقد كانت تعتقد في طفولتها أن عيني أمها
تريانها بالفعل ، ولم تترك إلا مؤخراً أن هذا وليد خيالها فقط ... ولكن
ما أهمية ذلك ؟ فكثيراً ما يحدث حتى الآن أن تدخل 'جودي' إلى الغرفة
وتخاطب صورة أمها 'جورجيا لوفين' طويلاً ، وكان وجودها في
الغرفة وجود حقيقي ... وهذا ما فعلته في تلك اليوم .

- أريد أن أقدم ما كان يفكر فيه أبي صباح اليوم .

وخيل إليها أن نظرة أمها ازدادت رقة وراحت تطالبها بالتحلي
بالصبر :

- لا تخشي شيئاً ... ساكون لطيفة معه .

هكذا راحت تطمئن أمها .

دخل 'بنّلي' الغرفة وهو يحمل صينية فضية :

- اتفضلين أن أصب لك الشاي ؟
- لا ... ساقوم بذلك بنفسي ... أوه ! 'بنّلي' ...
- نعم يا أنستي .

- أين اختفى التمثال النصفي لـ 'ديوردان' الذي كان موضوعاً على
مكتب والدي ؟

إن 'شارل' يحب هذا التمثال كثيراً ، وقد ظل في مكانه على المكتب
سنوات طويلة .

- لا أعرف يا أنسة .

- هل قرر والدي نقله إلى مقر الشركة ؟

- هذا ممكن يا أنسة .

- لست أرى أي تفسير آخر ...

لقد حصل 'شارل' على تمثال 'اليس ديوردان' كهدية من زوجته قبل
وفاتها ببضعة أشهر ، وكان من غير الممكن أن يستغني عنه ... ومع
تلك ... لقد حدث واختفت ، في هذه الأيام الأخيرة بعض التحف
القيمة ... ولم تلق هي بالاً لذلك في حينه ... أما الآن ...

سكنت الشاي في قديمها ، وأضافت إليه بضع قطرات من الليمون .
وكان 'بنّلي' قد أحضر قديمين وإناءً مملوءاً بالماء المقلي تحسباً
لحضور 'شارل' و'تيقيد' ...

لا بد وأنه قد غلبها النوم ، لأنها سمعت فجأة اصداً أصوات بعض
الرجال في الغرفة المجاورة ، وهي غرفة مكتب والدها . وفكرت في
الإسراع إلى هناك ولكن الباب الموصل بين الحجرتين كان مفتوحاً
واستوقفتها نبرة الأصوات التي تصل إلى سمعها .
كان 'تيقيد' يقول :

- هل بعثت تمثال 'ديوردان' حقاً ؟

- وهل تغفل أني فعلت ذلك وأنا مبتهج القلب ... أؤكد لك أنني كنت
في حاجة ماسة إلى النقود .

وتقلص قلب 'جودي' من جراء نبرة الخوف الشديد التي شابت
صوت أبيها ... وجاءها صوت 'تيقيد' :

- ولكن يا أبي ...

واقطع عليه "شارل" الحديث :

- إن ما تريد أن نقوله ، قلته أنا لنفسى مئات المرات .

- وهل تخليت عن تحف ثمينة أخرى ؟

- نعم ... ولكن بطريقة لا تسترعى الانتباه ... سوف لا أبيع هذا البيت إلا إذا اضطررت إلى ذلك اضطرارا ... وحتى هذا لا يكفى ... على الرغم من كونه آخر ما نملك .

وسال "بيفيد" :

- ماذا عن "بنظلي" و "كوك" و "آن" ... طاقم الخدم الذي يعمل عندي منذ أكثر من عشرين عاما ... ؟

- سوف نضطر إلى الاستغناء عنهم ... ليس هناك حل آخر ... وأؤكد لك أنه حتى بتصفية ذلك كله فإنه ستظل تنقصنا عدة ملايين .

فلت "جودي" جامدة في مكانها عدة لحظات وقد هدتها قسوة الأقدار التي لم ترحم والدها ... لقد باع "شارل" إذن كل أملاك الأسرة . الفيلات الكائنة في كثير من بلدان العالم ... الأسهم والسندات والاستثمارات والصور الزيتية التي لا تقدر بثمن والأثاث والتحف ... ولم يبق شيء من الثروات التي تراكمت وانتقلت داخل الأسرة من جيل إلى آخر .

وسمعت صوت قبضة يد تهوي على المكتب .

وجاءها صوت "بيفيد" وهو يصيح :

- لماذا يرفض "ماكفارلاند" منحنا القرض الذي حدثتني عنه ؟

- لا أعلم ... ربما من باب الشماعة ... لقد كنت أمثل له تحية منذ زمن طويل إن الجميع يجمعون على أنه رجل بلا ضمير ... إنه يحقد على الدنيا بأسرها لأنه شب في بؤس الملاجئ فقيرا بالئسا ومحروما من العطف والحنان ... إنني لم أعد أقهر شيئا .

وسمعت "جودي" والدها وهو يتنهد بعمق :

- هناك شيء آخر لم أحدثك عنه يا "بيفيد" ... شيء رهيب .. إن "ماكفارلاند" يريد أن يأخذ منا "جودي" .

وصاح "بيفيد" :

- ماذا ؟

وأخذت "جودي" تستمع إلى حديثهما وهي تكاد تلهث . لم يعد هناك

أدنى شك: إن والدها و"بيفيد" يجهلان وجودها في الغرفة المجاورة .

- لقد اتصل بي مساعد "ماكفارلاند" اليوم ويدعى "آفري أندرسون" . وقال : إننا إما أن نسد القرض وقوائده الذي حصلت عليه من أحد البنوك التي يسهم "ماكفارلاند" فيها وإما أن نرسل "جودي" إلى "سان ستيفن" .

- "سان ستيفن" ؟

- جزيرة يملكها .

- ماذا يريد من "جودي" على وجه الدقة .

- لا يعلم ذلك إلا الله .

وأحسّت "جودي" بالآلم الشديد . وخيل إليها أنها لم تعد قادرة على النفس وهي تسمع صوت والدها الذي يقتر أسى وحزنا .

- إنه يعد بالآ يصيبها أي أذى . مغنويا أو جسديا ، وإنها ستكون حرة تماما في تنقلاتها ولكن داخل الجزيرة فقط .

وقال "بيفيد" وقد أشرف على الانهيار :

- أوه ! يا إلهي ... !

واستنتجت "جودي" من الصوت الذي سمعته أنه سقط على مقعده قبل أن يستطرد قائلا :

- إنه يخيرك ، بعبارة أخرى ، بين ابتلاك وبين .. شركة الملاحة التي عكفت أسرتنا على إدارتها جيلا بعد جيل ..

- بالضبط ...

- وبماذا أجبت ؟

- لا أحب أن أكرر الكلمات التي قابلت بها عرض هذا ... هذا الإنسان الوضيع ... هذا الحالة ... إنني لا أجد كلمة أخرى لوصف هذا الصنف من البشر ...

- أدرك ذلك .

- لقد كسب "ماكفارلاند" هذه المرة ، فإن تخليها عن "جودي" هو أمر يجب ألا تفكر فيه أبدا ، يعني فقداننا كل شيء .

أصابتها شبرات الياس الشديد في صوت والدها بالإنهيار ...

لقد أدركت أنها الوحيدة القادرة على إنقاذ أسرتها من هذه الكارثة ...

وحاولت جودي طمأنته قائلة :

- ليس هناك أي خطر يا أبي وسوف يسير كل شيء على ما يرام
وإن بضعي وقت طويل حتى أعود إليكم تماما كما تركتكم ...
إن أحدا لا يستطيع أن يتصور ، وهي تتحدث بلهجة عدم المبالاة
هذه ، أن تركها لأسرتها على هذه الصورة يمثل بالنسبة لها محنة
شديدة القسوة . لقد أسرعت بعد .. أن سمعت - على الرغم منها -
حديث والدها مع شقيقها ، بالحقق بهما وأعلنت ، بدون مقدمات ،
أنها سوف تذهب إلى "ماكفارلاند" لتحاول إسماعه صوت الحق .
واعترض الأب والابن بشدة ولكنها صممت على تنفيذ قرارها . وبعد
أقل من أربع وعشرين ساعة كانت في طريقها إلى "سان ستيفن" .

وسألها الرجل ذو الحلة السوداء حينما اقترب منها :

- الأنسة "كوفين" .

هزت "جودي" رأسها ولم تتكلم ..

- كنا في انتظارك .

وتقدمها إلى سيارة كانت واقفة على حافة الغابة وبدأت رحلتها ...
وما كانت تقترب من المنزل حتى تسارعت أنفاسها : لقد كانت أجمل
"فيلا" وقع عليها بصرها حتى الآن . وكان الدخول إليها عن طريق باب
ضخم تحيطه شجيرات العنب البرية ...

وقال الرجل :

- التبعيني يا أنسة .

نزلت "جودي" من السيارة وعبرت خلفه الباب الضخم المصنع من
أشجار البلوط . وكان في استقبالها في الدهليز رجل قصير القامة
تحقيقها وخمنت أنه مساعد "ماكفارلاند" الذي حدثها عنه والدها .

ابتسم الرجل في حرج وهو يقول :

- الأنسة "كوفين" ... أرجو أن تكوني قد قمت برحلة طيبة .

وابتسمت مجاملة :

- كانت رحلة عظيمة يا سيد "أندرسون" .. هذا اسمك فيما أتقن .

وهز الرجل رأسه قائلا :

- سوف نوصلك الخادمة إلى جناحك .

الفصل الثاني

تقلصت يد "جودي" على مقبض حقيبتها . كانت السفينة التي
أقلتها إلى جزيرة "سان ستيفن" قد ابتعدت عن الشاطئ وتلاشى صوت
محركها . وخشيت أن تنظر إلى البحر حتى لا تفلت شجاعته . وابت
لها الجزيرة ، على الرغم من كل شيء ، كجنة حقيقية تحيطها السماء
الزرقاء الصافية والنسمات الرقيقة ، ولم تعد ترى غير الرجل الذي
تخطى الأربعين من عمره ويرتدي حلة سوداء اللون ويسير مقتريا
منها تاركا آثار خطواته على الرمال المبللة .

وخيل لـ "جودي" أن حقيبتها قد ازداد وزنها آلاف المرات عما كانت
عليه عندما غادرت "نيويورك" في صبيحة اليوم نفسه . لقد صمم
والدها على أن يصحبها حتى أرض المطار ، وكانت الدموع تلمع في
عيني "شارل" طوال الطريق ، واحتضن ابنته بشدة لحظة الفراق حيث
كانت طائرة "ماكفارلاند" الخاصة رابطة على الأرض في انتظار نقلها
إلى الجزيرة وهمس في أذنها :

- إلى اللقاء يا أميرتي ... إذا تجرأ على جرح شعورك

إن المنزل وسط جنة حقيقية ... بين البحر والشمس ... كيف لها أن تفسر إذن شعور التوتر الذي يجتاحها ولا تستطيع التخلص منه ؟ ... لن يجيئها الرد إلا في الغد ... ليس هناك شعاع واحد من البهجة في هذه الفيلا ...

وأبعدت عنها الغطاء عند الفجر بعد ليلة طويلة من الأرق ... وطالما تركوا لها بعض الحرية فسوف تذهب إلى اصطبلات الخيول فربما تنجح جولة على ظهر أحد الجياد في طرد المخاوف من نفسها ... تلك المخاوف التي تزداد وتضخم في خيلتها مع مرور الوقت .

كان المنزل يسوده صمت القبور عندما هبطت إلى الطابق السفلي . وفتحت باب الخول بدون عناء واندفعت إلى الخارج . كانت الشمس ساطعة والأضواء الذهبية منتشرة في كل مكان . وسمعت صوتا من خلفها فاستدارت على عقبها وراحت رجلا مجهولا يمشي جوادا وقد ارتدى قبعة تخفي نصف وجهه الأعلى . وترددت برهة : إنه أحد الحراس من غير شك ...

قالت مفضلة أن تكون هي البائدة :

- صباح الخير .

وحياها بلمس حافة قبعته وقال :

- هل تصادفك أية مشكلة ؟

- لا ... ماذا ؟

وارتسمت على شفطي الرجل ابتسامة مرحة ، وراح يجيل البصر فيها من قمة رأسها حتى أخمص عقبها .

ثم قال وهو يهبط من فوق ظهر جواده :

- هل ستقومين بنزهة ؟

وعندما استقر على الأرض بدا أطول قامته من "جودي" ، ولما رآته يتقدم صوبها لم يسعها إلا التراجع إلى الخلف عدة خطوات وقد غلبها الخجل .

وضغط الرجل على أحد الأزرار وظهرت الخادمة في الحال وكان الأرض قد انشقت عنها ، وحملت حقيبة "جودي" وقادتها إلى جناحها ثم انسحبت في هدوء بعد أن انخلتها في صالون مريح لتوسطه مدقاة عالية من الرخام قاتلة لها : إن العشاء سيكون معدا بعد خمس عشرة دقيقة .

ورأت "جودي" من خلال أحد الأبواب المفتوحة غرفة مطلية جدرانها باللون الوردي الفاتح وتطل نوافذها الكبيرة على منظر المحيط الفريد . ولم تستطع مقاومة رغبتها في الخروج إلى الشرفة حيث بدأت تسمت المساء الدافئ تداعب خصلات شعرها الطويل . وراحت مكان وقوفها حوضا للسباحة وساحة للعب التنس واصطبلات للخيول وعلى الرغم من الحيرة التي تنتابها دق قلبها لرحا ، فهي تغطي الجياد منذ نعومة أظفارها وتحب بشدة هذا الحيوان النبيل .

لم يدم سرورها طويلا : لقد أرق الوقت ولابد أن سجانها ينتظرها الآن في الطابق السفلي . كانت قد جهزت قائمة طويلة من الأسئلة المحددة التي تود أن تلقى عليها عليه وتنتظر إجابتها منه . ولكنها عندما دخلت غرفة الطعام وجدت أن المائدة معدة لشخص واحد فقط ، وعرفت أن "ماكفارلاند" لم يستطع الحضور بسبب كثرة العمل . لقد ترك لها رسالة قصيرة يؤكد فيها أنه سوف يسر بمقابلتها صبيحة اليوم التالي على مائدة الفطور .

وتناولت "جودي" عشاءها في صحاف من "البورسيلين" الفاخر ، وكانت أدوات المائدة الأخرى من الفضة الخالصة . ولكنها لم تعبأ بذلك كله .

وتناولت عشاءها على عجل وأسرعت إلى غرفتها . نامت في تلك الليلة وقد هاجمتها الشكوك : هل تعدد "ماكفارلاند" عدم المجيء ليزيد من حيرتها ويأسها ؟ إنها لا تعرف عنه شيئا سوى أنه لا يحب الظهور في الاجتماعات وأنه يتهرب دائما من حب استطلاع الصحفيين والمصورين . وقد وصفه "شارل" بأنه رجل متعال متفطرس حاد الطبع ... وحيواني .

قالت لنفسها وهي تنظر إلى سقف الغرفة : يا له من مكان غريب ...

- لا ... أنا ذاهبة إلى حظائر الخيل ... لقد قال 'ماكفارلاند' إنني
استطيع التقليل بحرية في أرجاء الجزيرة . وأريد أن يساعدني أحد في
اختيار الجوار المناسب .

- يبدو أنني أثير في نفسك الرعب ...

ألقيتها صراخته وسالت نفسها : ترى من يكون هذا الغريب ؟

- لا ... أبدا ... !

إنها تقول الحقيقة : لقد أثارها بغفورة حيويته وبهالة الأسرار التي
تحيط به ...

- أرجوك لا داعي للتوتر والقلق فانا لا أريد إيذاك وسأصحبك إلى
حظيرة الخيول .

وسحب عنان حصانه الأسود وأشار إلى 'جودي' أن تتبعه ، وسالته
وهما يسيران جنباً إلى جنب ، لا لتخفي حرجها بل لينبعثها ذلك إلى
حب استطلاع حقيقي :

- هل تعيش في الجزيرة منذ زمن طويل ؟

- منذ ثلاث سنوات ...

وشجعها الجواب على متابعة الحديث ، فمن الأفضل أن تعرف كل
ما يمكنها معرفته عن 'ماكفارلاند' قبل لقائه .

- أي نوع من الرجال هو ؟

- من ثنتين بقولك هذا ؟

- 'ماكفارلاند' بكل تأكيد .

وحسبها الرجل بنظرة حادة غامضة قبل أن يعاود الحديث :

- بقول البعض إنه الشيطان ببعينه .

- يا له من أمر مشجع ! ... إن والدي الذي قابلته يصفه بأنه رجل
'حيواني' .

قال وقد أعجبه هذا الوصف :

- رجل 'حيواني' ؟ هناك من يقول إنه مجرد ثعالب من الشعور
والأحاسيس ... ويقول آخرون إنه معدوم الضمير ولا مبادئ له
والجميع يجمعون على ألا قلب له ...

وألقت 'جودي' نظرة فاحصة على الحصان الأسود وأضافت :

- أنا واثقة من أنهم مخطئون ...

- اه ! ... ولماذا ؟

- إن الرجل الذي يقدر جمال الطبيعة والحيوانات لا يمكن أن يكون
'وحشاً' كما تصفونه !

كان في مقدور 'ماكفارلاند' أن يتسبب في خراب 'شارل' منذ زمن
طويل ولكنه امتنع عن ذلك ... ربما يكون رجلاً بدون قلب ولكنه ليس
بدون ضمير ، كما أن القسوة ليست من خصاله ...
وسالها الرجل :

- كيف يمكن أن يكون في رأيك ؟ فأنا ، كما فهمت لم يقع عليه نظرك
قبل ذلك ؟

- هذا صحيح ... أنا لا أعرف شيئاً عنه ولكن يمكنني أن أقول ، دون
أن أخطئ ، إنه ليس بالرجل السعيد ...

وقبته رفيقها ضاحكاً :

- انتظري من حولك ... إنه من أغنى أغنياء الأرض ... كيف يتأتى
لرجل بهذا الثراء ألا يكون سعيداً ؟

وقالت لتؤكد وجهة نظرها :

- إن البهجة والسعادة هبات تأتي من الداخل ... إنني أحس فيه
بالمحارة .

- من تظنين نفسك ؟ 'سيجموند فرويد' ؟

وجاء دور 'جودي' لتضحك من قلبها ، واستطربت قائلة :

- لا ... لقد حاولت فقط أن أكون عنه فكرة قبل المجيء إلى هنا ...

- انتظري حتى تقابليه فقد تكون هناك مفاجأة سارة في انتظارك .

- ربما ...

ومع ذلك فقد كانت تشك في ذلك كثيراً ...

ووصل أخيراً إلى مدخل حظيرة الجياد وبرز لهما رجل ذو اكتاف
عريضة وقال رفيع 'جودي' :

- صباح الخير يا 'سام' .

ورد المدعو 'سام' وهو يحرق النظر إلى الفتاة الشابة :

- صباح الخير ...

- أرجو أن تجهزوا المهرة "برنسبس" للأنسة كوفين" كما أرجو أن تعطوا "ميدنايت" كمية مضاعفة من "الدريس" ، إنه يستحقها بعد الجولة الطويلة التي قام بها الآن ...

واستدارت "جودي" فجأة لمواجهة .. وسالته :

- ولكن كيف عرفت اسمي ؟

تجاهل السؤال وأصبح كلامه معها أكثر رقة :

- أرجو أن تجهز غدا بعد الظهر نفس الجوادين ، فسوف أخرج أنا والأنسة كوفين" للترفة معا .

- حسنا يا سيد "ماكفارلاند" ...

ماذا ؟ إذن فهذا الرجل الذي يقف أمامها ... هذا الرجل الجذاب هو نفس الوحش الذي وصفه والدها ... وأحست بحمرة الخجل تملو وجهها وهي تتذكر الكلمات التي قالتها منذ لحظات عن "ماكفارلاند" وأصيبت بالهلع وخفضت من بصرها ، وسمعتة يقول فيما يشبه الهمس وقد ارتسعت على وجهه ابتسامة غامضة :

- إلى اللقاء يا أنسة كوفين" على الغداء .

عجزت عن الكلام واكتفت بهز رأسها

ومضت فترة الصباح بسرعة مذهلة ... لقد مضت أشهر عديدة لم تمط "جودي" خلالها أحد الجياد ... ولم تنهب بعيدا وقررت إرجاء عملية استكشاف الجزيرة إلى يوم آخر . وكان ينتظرها عند عودتها فطور شهي ، التهمته بعد أن أسلمت جسدها لمياه "البش" . وراحت ، بعد عودتها إلى جناحها ، تكتب رسالة طويلة إلى أبيها ولكنها سرعان ما أدركت أنها لا تملك وسيلة لإرسالها إليه . ولما لم يكن لديها شيء تفعله استلقت على الأريكة المغطاة بالقطيفة وأغلقت عينيها وراحت تستنشق عبير النباتات والأزهار الذي ياتيها من الخارج ...

سمعت طرقا على الباب وجاءت إحدى الخاديمات لتعلنها أن وجبة الغداء ستقدم بعد خمس عشرة دقيقة وراحت تعمل "مكياجها"

وتصفيفة شعرها استعدادا لمواجهة سجانها وهي تحس بالوجل ونفاد الصبر في نفس الوقت ... ونزلت إلى الطابق السفلي وقد تملكها الاضطراب .

وقلت قليلا عند أسفل السلم لتستعيد شجاعته : يجب ألا يحس "ماكفارلاند" أن لقاءه بها في الصباح قد أدخل الخوف على نفسها . وبفتحت باب غرفة المائدة حينما شعرت أنها أصبحت مستعدة للمواجهة المرتقبة ...

ونفض "ماكفارلاند" لاستقبالها . وقال بكثير من الاحترام :

- أرجو أن تكوني قد أمضيت وقتا طيبا هذا الصباح .

لم تثار "جودي" بحرارة هذا الاستقبال وقالت :

- هل يمكنك أن تخبرني عن سبب وجودي هنا ؟

ربما كان من المناسب أن تجد مدخلا آخر أكثر ملاءمة لبدء الحديث في الموضوع الذي يملك عليها تفكيرها ولكن نظرات "ماكفارلاند" الثاقبة وضعتها في موقف النفاق .

وأجابها وهو ملتزم الهدوء :

- لقد جئت لتناول الغداء من غير شك ... تفضلني بالجلوس فانا أشعر بالجوع الشديد .

ساعدها رئيس الخدم على الجلوس في نفس مكان الأمس وجلست وهي تحاول كبح جماح ثورتها وراحت تتناول الحساء الذي وضع أمامها ببطء ... كان "ماكفارلاند" على الطرف الآخر البعيد من المائدة وخيل إليها أنه يجب عليها أن ترفع صوتها لكي يستطيع سماعها . وأدركت أن يدها ترتعش فاطبقت بأصابعها بشدة على المعلقة وقالت متسائلة :

- إلى متى ساقبى سجينه هنا ؟

التزم "ماكفارلاند" الصمت وكأنه نسي وجودها تماما وكان عليها أن تنتظر تغيير صحاف المائدة لتسمع إجابته :

- ستكونين قريبا حرة في العودة إلى منزلك .

وعانت "جودي" إلى الهجوم مرة أخرى :

- متى ؟

- قلت لك قريبا ... هل تجدين نفسك تعيسة هنا ؟
 قالت وهي تسوي وضع المنشفة فوق ركبتيها :
 - لا ... يبدو أن الجزيرة جذابة جدا ...
 وشاعت الرقة في نظرات "ماكفارلاند" وقال :
 - حسن جدا ...
 - لماذا تكره أبي إلى هذه الدرجة ؟
 ادتهنه السؤال وقال :
 - أنا ؟ هذا ليس صحيحا ... بل على العكس ، إنني أحترم جدا
 استقامته وصراحته .
 - بعبارة أخرى فانت تحبه .
 - فلنقل إنني أكن له الاحترام ... ولكن جاء دوري لأسالك ، من أخذ
 القرار النهائي الخاص ... بدعوتي ؟ أبوك أم أنت .
 - أنا ...
 هز رأسه مبديا إعجابه واستطرد قائلا :
 - اعتقد أن والدك وشقيقك حاولا المستحيل لإثناك عن قرارك .
 - من المؤكد أن أحدهما لم يكن ليخبرني بحقيقة الإنذار الذي وجهته
 لهما ... لقد سمعتهما يتحدثان عن ذلك بطريق المصافحة المحضة .
 - لقد اتخذت قرارا حكيما ...
 - ولماذا ؟
 - لأنني كنت لن أتردد لحظة واحدة في رفض هذا القرض لوألدك .
 وكبحت "جودي" جماحها لكيلا تتفوه بكلمات قاسية محرجة
 ونقصت أصابعها على متشلفتها وقالت بجفاء :
 - أنا لا أشك في ذلك مطلقا ...
 وبقع رئيس الخدم طبق السلطة الذي لم تمتد إليه يدها وقدم لها
 الطبق الرئيسي : لحم الرومي المصحوب بعش الغراب .
 ولم تمتد يدها إليه أيضا واستطردت قائلة بلهجة قاسية :
 - لا أستطيع أن أتخيل أي شيطان كنت وانت طفل مايمت أنت الآن
 على هذه الدرجة من الديكتاتورية .
 ووضع "ماكفارلاند" الشوكة والسكينة ببطء على المائدة وهو يقول :

- لم أكن طفلا قط في حياتي ...

وجدت "جودي" "برنسيس" جاهزة تماما للركوب في صبيحة اليوم
 التالي وراحت لتحسسها بلطف وأخرجت إحدى ثمار الجزر من جيب
 سروالها "الجينز" وهي تقول :
 - خذي ... ولا تقولي شيئا لأحد ، لأنني سرقت الجزر من المطبخ .
 - وأنا ... اليس من حق أن أعامل بلطف صباح اليوم ؟
 وأحست "جودي" بعدم الراحة عندما تعرفت على صوت "ماكفارلاند" .
 وكان في حلقه السوداء يبدو متجهما متباعدة ... وقال بعد فترة
 صمت :
 - لماذا هذا الوجه العابس ... إن أحدا لن يوجه إليك اللوم لأنك
 أخذت بعض الخضراوات من المطبخ .
 وبدون أن ينطق بكلمة أخرى أخرج "ميدنايت" من مكانه في الحظيرة .
 وفهمت "جودي" من نظراته إليها أنه يترك لها الحرية في أن تتبعه أو
 تركض بجوارها في الاتجاه الذي تفضله ولكنها امتطت "برنسيس"
 وراحت تركض بالمهرة في أعقاب سجانها ...
 اتجه "ماكفارلاند" صوب الغابة وكانت الطيور تفر هاربة في أثناء
 مرورهما في الممرات الضيقة التي تحدها من الجانبين الأشجار
 للتعانقة ، ولم تستطع "جودي" لجهلها بطبيعة المكان أن تتفادى بعض
 الأغصان التي كانت تصطدم بوجهها في شيء من العنف . وفي خلال
 دقائق معدودات غطى وحل الغابة حذاءها الطويل الرقيقة وسروالها
 "الجينز" ولكنها مع ذلك لم تطلب من "ماكفارلاند" أن يبطل بحصانه .
 وعندما توقفوا قرب الشاطئ كان الإجهاد قد أخذ منها كل ماخذ .
 قالت وهي مضطربة الأنفاس :
 - هل تعدو دائما بهذه السرعة يا سيد "ماكفارلاند" ؟
 - لا ... كنت أختبرك فقط ... وقد نجحت تماما في الإمتحان .
 وأجابته قائلة :

- ربما ... ولكن سوف أكون أنا في المقدم في المرة القادمة .
 ابتسم لها ، ورئت له ابتسامته على الرغم منها . كانت بقع الوجه
 لثوب ثياب ووجه الفتاة الشابة وخصلات شعرها التي عبت بها
 الهواء تتهدل على كتفها في إهمال .
 وقال لها "ماكفارلاند" فجأة :
 - حدثيني عن "جودي لوفين" .
 فاجأها السؤال ولكنها تماكنت نفسها بسرعة وقالت :
 - أوافق ... ولكن بشرط أن تجيبني عن سؤال واحد ... هل تعذبي
 بذلك ؟

- تكلمي ، فانا كلي أذن صاغية .
 - ماذا تريد أن تعرف على وجه التحديد ؟
 وابتسم قائلا :
 - العديد من التفاصيل .
 - حسن جدا ... إن طول قامتي يبلغ مائة وخمسة وستين سنتيمترا .
 - ساكتني بالبيانات العادية .
 - أقت "جودي" براسها إلى الوراء وانفجرت ضاحكة .
 - حسن ، أنا في الرابعة والعشرين من عمري ...
 - هل بلغت هذه السن فعلا ؟
 - إذا قاطعتني على هذه الصورة ، فتن أستطيع أن أقول شيئا .
 واثارت ضحكته العالية دهشة "جودي" ... كانت ضحكة غريبة كأنها
 صادرة من شخص لا يعرف لثمة البهجة والسرور . وقالت فيما بينها
 وبين نفسها : من المؤسف أنه لا يطلق لنفسه العنان كثيرا .
 وسألها في شيء من القلق :
 - هل هناك ما يضايك ؟
 - لا ... لا ...

- حديثني عن الرجال في حياتك .
 واتخذت "جودي" في الحال موقف الدفاع :
 - عندي الكثير من الأصدقاء .
 - ولكن ... ليس هناك شخص مفضل ؟

- نعم ... بل بلى ... إنه يدعى "يوي" ، وهو في الرابعة من عمره ...
 وإنني أنوب حبا في كل مرة يوجه إلي قبيها الحديث ...
 ونزلت من فوق ظهر جوادها وقالت في شيء من الحزم :
 - جاء دوري لألقي عليك بعض الأسئلة .
 وهز كتفيه قائلا :
 - أنا مصغ إليك .
 - اسمك ... ؟
 - ولكنك تعرفينه .
 - لا أقصد اسم العائلة بل اسمك المصغر .
 - قلبلون جدا من يطلبون مني ذلك .
 - ولكني أريد أن أعرفه .
 ولأن بالصمت فترة طويلة قيل أن يجيب :
 - "جون" .
 تعمدت عدم النظر إليه وسألها :
 - هل يناسبني هذا الاسم ؟
 - نعم ... جدا ...
 - من حسن الحظ ...
 - هل يمكنك أن أتأكد به ؟
 سار الصمت بينهما من جديد وقطعه "ماكفارلاند" بعد برهة طويلة :
 - إذا فضلت ذلك .
 - شكرا ... إنني لا أجيد شريرا كما كنت أتصور .
 - أشكرك ... أما أنت فأجيدك تماما كما تخيلتك ... وأنا ، أوجه
 تقديري لهؤلاء الرجال الذين تحروا عنك لحسابي .
 - هل تعلم الكثير عني ؟
 - أعلم كل شيء ... أستطيع أن أقول لك ، على سبيل المثال ، إنك
 بسبب من يدعى "ريتشارد" عرفت أولى أحزان الحب ، وإنك لا تخرجين
 كثيرا منذ ذلك الوقت ... أعلم أيضا أنك تعطين كل وقتك لأطفال
 الحضانة التي تعملين بها بأجر زهيد ... وأنت أنهم يقدرون تضحيتك
 هذه التقدير الصحيح ، وخاصة إذا أخذنا في الاعتبار عراقة أسرته .

علت الصفرة وجه "جودي" وأحست ، حينما تلاقى نظراتها مع نظرات "جون" الباردة برودة الجليد ، أنها توشك أن تفقد ائزازها .
وجاءها صوته متحديا :

- حسن ... اليس لك أية تعليقات ؟

- لا ... وشكرا على صحبتك لي يا "جون" .

وما كانت تنتهي من ردها حتى استطعت صهوة مهرتها وابتعدت دون أن تلتفت إلى الوراء .

وراح "جون" يتابعها بنظراته وهو ثائر على نفسه ودهشن تماما من موقفها الرزين الذي يعلن عدم رضاها عما وجه إليها من حديث ... إن غالبية النساء لا يهتمن غير سلطاته وثروته ولم تطلب إحداهن أبدا معرفة اسمه المصغر يمثل هذه الثقافية ...

وقال لنفسه وهو يفكر بعمق : هذا أمر خطير ... عليه أن يحذرهما كما أن عليه أن يحذر نفسه أكثر وأكثر ...

الفصل الثالث

راحت الأفكار المشوشة تتزاحم في رأس "جودي" وهي تجري مهرتها بمحاذاة الشاطئ ... لماذا أحيا "ماكفارلاند" ذكريات سلوكها الفاضل مع "ريتشارد" ؟

صبيغ إحساسها بالمهانة وجذبتها باللون الأحمر وزاد شعلة نظراتها توهجا ... لقد أعطت تلك الرجل ثقتها العمياء ، وعلمت بعد نفسي أشهر قليلة أنه متزوج ... لقد خمدت الآن الآلام التي سببتها حياتات "ريتشارد" لها ولكن لا يزال غباؤها الذي قابلت به حديثه التسول ، يعصف بكبريالها .

ولانغماسها في أفكارها لم تترك سريعا وجود أناس على مقربة منها ... إن أصوات الضحكات المرحية هي التي أثارت اهتمامها .

وقالت هامسة في آذن مهرتها :

- "برنيسيس" ، انتظري ... هناك أطفال يمرحون .

كانوا ستة أطفال يلعبون "الاستغماية" ، في المسافة المحصورة بين الغاية والشاطئ . وأوقفت مهرتها . والتفت الأطفال إليها وقد كفوا عن

mjerko

الضحك، وركضوا جميعا مبتعدين باستثناء طفل واحد، استبد به حب الاستطلاع ..

وقالت له "جودي" بصوت عذب حنون حتى لا تدخل الخوف على نفسه :

- صباح الخير ...

لزم الصمت وهو يحرق إليها بجذبة وعمق . ووضعت "جودي" يدها في جيبها وأخرجت قطع السكر التي جاءت بها خصيصا لـ "برنيسيس" ووضعتها في يد الطفل الذي اقترب من المهرة التي سرعان ما التهمت قطع السكر . وضحك الصبي والتفت تجاه "جودي" التي يادرتله بقولها:

- إنها مهرة جميلة وهادئة ، هل تريد أن اضعك فوق السرج ؟

هز رأسه . وسرعان ما وجد نفسه على ظهر "برنيسيس" . وصاح ينادي رفاقه في مرح وحيور .

- "بيتر" ... "جيمي" ... "فيليب" ... "إليزابيث" ... !

جاء الأطفال مسرعين وقد استعنتهم فكرة ركوب المهرة مثل رفاقهم . وتكفل "بيتر" وهو أكبرهم سنا ، بمهمة تقديم باقي الأطفال لـ "جودي" وسط عاصفة من الضحك والمرح .

كان "جون" يراقب المشهد من بعيد ، ويعجب للمعجزة التي حققتها "جودي" بجاذبيتها التي لا تقاوم ... إن نفس هؤلاء الأطفال كانوا بفرون هاربين بمجرد رؤيته ... إن الجميع هنا يخشونه ولا يعلم أحد إلا الله ما يثار حوله من اقاويل وشائعات ...

وارتسمت على شفتي "جون" ابتسامة تعجب ... إنه هو نفسه أصبح ضحية لجاذبية "جودي" الطاغية ، وهو أمر لا يعجبه . وأسرع بحصانه "ميننايت" مبتعدا إلى الطرف الآخر من الجزيرة وكان الشيطان نفسه يتعقب خطاه .

عندما رجعت "جودي" إلى "الغيتا" كان "جون" قد انتهى منذ فترة

طويلة من تناول فطوره ، وأحيطت المرأة الشابة علما بأنه يعمل في مكتبه . وسرت "جودي" بذلك وأمضت بقية فترة الصباح في جناحها الخاص . وعندما حان وقت تناول الغداء نادت إحدى الخادومات ، وطلبت منها إحضار وجبة خفيفة تناولتها في شرفة غرفتها . وشعرت بالضيق لبقائها حبيسة غرفتها طوال فترة بعد الظهر فخرجت للاستحمام في حوض السباحة .

كانت هناك فكرة واحدة تراوبها منذ عدة ساعات : لماذا يعمد "ماكفارلاند" إلى إبقائها سجين في جزيرته ؟ إن شخصيته على درجة كبيرة من الغموض . ومن الصعب معرفة ما يفكر فيه ... وأحست فجأة أن هناك من يراقبها . أصابتها رعشة خفيفة وهي تستدير وتجول ببصرها في أرجاء المكان ، ولكنها لم تر أحدا ... ولما استمر إحساسها بأن هناك من يراقبها جمعت حاجاتها وأسرت بالعودة .

راحت تفرع أرض الصالون جيئة ونهابا محاولة إخال الهبوب على نفسها ، ثم جلست إلى المكتب وراحت تخط رسالتين طويلتين لوالديها وشقيقها ، ولما خرجت بعد ساعة إلى الدليل كان الصمت المطبق يسود المكان . جمعت شجاعتها ونزلت إلى الطابق السفلي واتجهت صوب الجناح الذي يحكم منه "جون" إمبراطوريته ...

وجمعت في مكانها عندما سمعت صوت "أفري اندرسون" :

- الأنسة كوفين :

ووجهت إليه الحديث وهي تنتظر بالثبات :

- صباح الخير ... أنا أسفة إذا كنت قد اجتزت المنطقة الممنوعة .

وأجابها "أفري" في شيء من الاضطراب :

- لا ... لا ... أرجوك لا تظني ذلك ...

- معي بعض الرسائل أريد إرسالها بطريق البريد ... إن من حقي أن

أكتب إلى أبي اليس كذلك ؟

- بلى بكل تأكيد .

- ها هي ذي .

- سأقوم بإرسالها بنفسي إذا كان هذا يطمئئك يا أنسة كوفين .

كان في مقبور "جودي" أن تتعرف على هذا الصوت من بين آلاف

الاصوات الأخرى ... واستدارت على عقيبتها فجأة وقد توربت وجنتاهما وقالت متلعثمة :

- اشكره يا "جون".

ولم يلاحظ أحد بهشة "أفري" من تبادل مخدومه وضيافته الحديث باسميهما المصغرين .
واقترح "جون" :

- هل تريدان رؤية مكتبي ؟

وتربعت "جودي" قبل أن تجيب ، فقد كانت نظرات "جون" من الغموض بحيث لم تستطع أن تخمن حقيقة نواياه .
- إنه لما يزعجني أن أقطع عليك عملك ... ربما فعلت ذلك في مرة أخرى .

وراحت تتراجع وهي تسمعه يقول وعلى شفثيه ابتسامة ساخرة :

- كما تحبين ... إلى اللقاء بعد قليل على العشاء .

عندما جاء المساء ارتدت "التنورة" التي يفضلها أبوها والتي يناسب لونها القرمزي مع بريق عينيها . وفي اللحظة التي نزلت فيها للقاء "جون" اجتاحتها إحساس ، هو خليط من الرهبة والبرود ، لفكرة وجوبها الوشيك مع ملك جزيرة "سان ستيفن" . وعلى الرغم من غرابة الوضع فإنها كانت مسرورة لأنها ستقضي بعض الوقت في الحديث مع "جون" .. كانت تريد أن تزده معرفتها به وتكشف أسرار وجوده في هذا المكان ...

كان ينتظرها وهو متكئ بمرفقه على حافة مدفأة غرفة الطعام وممسك بكوب من الشراب في يده . أثارها جاتبيته . كان يرتدي سترة مخططة طويلة . وينظرون بلون العاج ويبدو أنه اختار هذه الحلة لإبراز صدره القوي واكتافه العريضة وخصره النحيل .

- مساء الخير يا "جودي".

اجابته بابتسامة .. وسرت لآه يتأبىها باسمها المصغر :

- مساء الخير يا "جون".

- هل أقدم لك فاتحا للشهية قبل العشاء ؟

- بكل سرور .

وما كانت تتناول كاسها بينها ، حتى بدأت تشن هجومها دون أية مقدمات .

- لماذا تكره أبي ؟

- على العكس ، إنني أكن له الكثير من الاحترام .. إن له شجاعة وصلابة فرقة كاملة من الرجال ... !

- لأنه نجح في الصمود أمامك حتى الدقيقة الأخيرة ؟

- اعترف على الأقل أنني أعطيته الوسيلة الكفيلة بإخراجه من وورطته ..

وهزت "جودي" رأسها ببطء قائلة :

- أنا ... ؟

- نعم أنت ...

- لماذا ؟ إنني منذ مجيئي إلى هنا ، ونحن لا نتكاد نتقابل أو نتحدث معا ... فبم يفينك وجودي هنا ؟

- إنه لا يفينني في شيء ... لقد كانت "دعوتي" غير مفروضة .

وتلصقت معالم وجهه وأصيل أهديه . وانركت "جودي" لأول مرة مقدار كبرياء الرجل الذي يحتجزها في جزيرته . ولكنها لم تر في ذلك غير التعبير عن الألم الدفين الذي يعايشه هذا الرجل الغامض ... هناك ... في مكان ما .. من أعني قلب "جون" . وجعله يبدو وكأن قلبه قد من حجر ... ذلك القلب الذي تحصن هي أنه مليء بالركة والحنان .

وقالت غير غاضبة :

- هل تريد أن تجعل مني أمة لك ؟

- لا ...

- حيوانك الأليف ؟

- لا تكوني سخيفة .. إنك حرة . اليس كذلك ؟

- يمكنني إذن أن أعود إلى بيتي .

وضحك قبل أن يتناول جرعة من كاسه :

- لا بكل تأكيد .. أنت هنا .. لتسري عني ... لتبعدي عن رأسي الأفكار السوداء .

واراد أن يضيف : لتعيدني إلى الأمل ... ولكنه أثار السكوت ...

- ولكم من الوقت ؟

وهز كتفيه :

- الوقت الكافي لإتمام مهامك على الوجه الأكمل .

وسمع صوت وقع أقدام ، وظهر رئيس الخدم وهز رأسه تجاه 'جون' الذي أسرع قائلا :

- لقد تم إعداد العشاء .

واقترب من المكان المخصص لـ 'جودي' ، وساعدها على الجلوس .
وسرها ذلك لأنها كانت قد بدأت تحس برعشة في ساقيها . وقالت
متابعة للحديث بعد أن وضعت منشقتها على ركبتيها ، متعمدة تغيير
موضوع الحوار :

- لقد قابلت هذا الصباح بعض الصبية وهم يلعبون على الشاطئ .

- لقد بقي عدد من العائلات في الجزيرة .

- إنهم رائعون . والقوا علي الكثير من الأسئلة بخصوصك .

- الأطفال .

- نعم ... أتعرف كيف يدعوك ... الأمير الأسود ...

وبدأت الابتسامة تولد على شفتيه :

- أه ! فهمت لماذا يفر هؤلاء الأطفال هاربين بمجرد رؤيتي ؟

ودهش من جديد لرد فعل 'جودي' : إن عزله لا تثير في نفسها
العجب ... لقد انتظر منها أن تحدثه طويلا عن 'أرائه وأفكاره' التي

ترجع إلى القرون الوسطى . ولكنها خيبت أمه .

- وانت ، بماذا يدعوك ؟

وتظاهرت 'جودي' بالحرص :

- لقد طلبت منهم أن ينادوني بـ 'جودي' .

- ولكنهم قرروا غير ذلك .

قالت وقد تضرجت وجنتاها بحمرة الخجل .

- نعم ...

- قل لي بماذا يدعوك ...

- الفضل إلا القول ...

- هيا ... لا ادعي للشعور بالحرص ... واعلمي أنني أستطيع أن أعرف

تلك في أقرب وقت ... صباح الغد على الأكثر .

ورضخت 'جودي' :

- 'أمراء الأمير الأسود' ... لقد شرحت لهم أنني مجرد صديقة ،
ولكنهم رفضوا تصديقي ... أعرف أن ذلك يزعجك جدا ... ولكن الأمر
خرج من يدي ... أنا أسفة حقا ...

استندت به الدهشة البالغة : لقد أراد مداعبة 'جودي' والسخرية
بسطف من سذاجتها ، ولكنه تلقى فجأة لكمة قاسية من يد مجهولة .
وداح يتغرس وجهها لعله يجد في تعبيراته أثرا للسخرية ، ولكنه لم
يجد شيئا من هذا . لقد كان حرجها حقيقيا ... لم يكن من طبيعتها
إهانة أحد ، إنسانا كان أم حيوانا ...

ومن حسن الحظ أخرج بخول رئيس الخدم ، وهو يحمل أول أطباق
العشاء ، 'جون' من دوامة تفكيره . واستمر في إلقاء الأسئلة على
'جودي' ، فقد كان سماع صوتها يدخل على نفسه الراحة والهدوء .

- هل تحبين هذه الجزيرة ؟

- إنها جميلة جدا .

- إذا رغبت في شيء ، فلا تترددي في طلبه مني .

وقالت محرجة :

- لا ... لا ...

تغيرت فجأة نظراتها لـ 'جون' : لا يبدو أنه يريد معالبتها على جريمة
لم ترتكبها ، ولكن ماذا ينتظر منها على وجه الدقة ؟

واستطرد قائلا :

- هل تعانين الوحدة ؟

وراحت تشرق النظرة في وجه هذا الرجل الغريب قبل أن تتكلم .

- إننا لسنا في 'مانهاتن' ... ولكي في الحقيقة كنت في حاجة إلى

مساعدة ... وهناك الآن أتمتع بها ، ويرجع لك الفضل في ذلك .

لم تعد تكومه لأنه يحتجزها كسجينة في هذه الجزيرة ، ولا لكونها
سحبة لعملية ابتزاز ... راح يتأمل تعبيرات وجهها وقد ازداد شعوره
بحم الارتياح ... لقد أفقدته في هذه المرة شهيته تماما ... فقال وهو
يسهط :

- أرجو المعذرة ، فعندي بعض المكالمات الهاتفية المهمة ...

وغادر الغرفة كرجل نزلت به إهانة كبرى . وتجمعت أوصال 'جودي' بعض لحظات وهي تتسائل عن سبب نهابه المفاجئ ، ووقفت بدورها وغادرت قاعة الطعام .

كان الوقت لا يزال مبكرا ولم تكن تشعر بأية رغبة في العودة إلى غرفتها . لقد سمح لها بحرية التجوال كيفما شاعت وعليها ألا تحرم نفسها من هذه اللذة ...

كان هناك بابان مغلقان دائما طالما أثارا حب استطلاعها منذ حضورها ... ادلرت مقبض أحدهما وبفتحه وبخلت الغرفة التي كانت غارقة في الظلام . ولكن سرعان ما توقفت عن الحركة وقد أصابتها الدهشة : وجدت نفسها في مكتبة أنيقة ضخمة ... كانت هناك مقاعد كثيرة .. ومكتب كبير ومجموعة مختلفة من المصابيح والمناضد الصغيرة . وكانت الكتب منتشرة في كل مكان . بعضها ترك مفتوحا على إحدى المناضد والكثير منها مصفوف بنظام على الرفوف الكثيرة التي تغطي جميع الجدران ، وأحسست 'جودي' ببهجة من وجد كنزا ، وبون تريد أغلقت الباب وراحا وبدأت رحلة استكشافها للمكان ... لم انغمست في القراءة .

عند منتصف الليل وجدها 'جون' في المكتبة وهي مستغرقة في نومها . كان رأسها ملقى على مسند المقعد وتتلى نراعاها في إهمال واسترخاء على جانبها . وراح يتأمل برهة هذا المشهد الساحر وغمرته موجة من الحنان . وأخذ مجلسه إلى المقعد المجاور وتملكته الحيرة : من أين له هذه الرغبة العارمة لحمايتها وإنخال السعادة على قلبها ؟ كانت تبدو بريئة ومع ذلك فقد أثارت انوثتها بدرجة كبيرة ... كانت تبدو رقيقة ملائكية جديرة بالاحترام والإجلال ... إنه لم ير في حياته امرأة تشبهها ...

وانتابه فجأة شعور بالخوف يكاد يرأى إلى مرتبة الذعر : إنه يملك الوسائل الكفيلة بإيلامها ... إنه يعلم أنها - بتشجيعه - يمكن أن تقع في حبه ، لأنها ذات طبيعة سخية معطاء . وكان نفوذه عليها يخيفه ، لأن وراء اللذة التي سوف يشعر بها عندما يتم استيلاؤه على قلبها

يمكن التهديد بسلطانها هي نفسها عليه ...

فكر في أن يوقظها ... أن يأخذها بين ذراعيه ويتخلل شعرها بأصابعه ... وتخليها وهي تحرق بعينها إلى عينيته وقد علت الحمرة خديها كما يحدث دائما عندما يتحداهما بكلامه .

وتراجع 'جون' فجأة .. وتقلصت أصابعه فوق مسند مقعده : يجب أن يرسل إحدى الخاديمات لإيقاظها واصطحابها إلى غرفتها ... لو لم يغادر المكان في الحال لما استطاع أن يتحكم في شعوره ... ماذا يفيد الخضوع للإغراء ؟ ... إن 'جودي' ليست أفضل من ملايين النساء اللاتي يزخر بهن العالم ...

صاحت 'جودي' وهي تقترب من حافلة الجياد :

- 'ميدنايت' إذا أردت أن تحظى بشيء تحبه ، ويجب عليك أن تأتي لتأخذه.

وراحت تلوح له بشجرة جزر ضخمة .

إن 'جون' يتهرب منها منذ أربعة أيام . وهما لا يتقابلان إلا في الناء الوجبات ، وفي خلال هذه الفترات كان يبدو مشغول البال ولا يوجه إليها الحديث إلا إذا سأله . وبدأت 'جودي' تعتقد أنه سوف يبعدها ، في أية لحظة عن الجزيرة ... إنها لم تكن تقضي أسبوعا معه . ومع ذلك يبدو أنه قد مل وجودها ... هذا هو تفسيرها الوحيد لسلوكه معها الذي يتسم بالبرود الشديد .

إنها إن تعبت قلن تأسف على شيء باستثناء الأطفال ... لقد أصبحوا بسرعة أصدقاء المقربين . وكانوا في كل مرة يلتقون فيها يحضرون لها هدية صغيرة : باقة من الأزهار ، أو قبة من القش صنعوها بأنفسهم أو دعة عملاقة ... وكانت لكي تشكرهم تروي لهم القصص والتواريخ . وتشاركهم لعبهم ومرحهم . وتقابلت مع أفراد أسرهم ، ودعيت أكثر من مرة إلى منازلهم ... إنها لن تنسى أبدا هؤلاء الأطفال الذين جعلوا أيامها في الجزيرة سعيدة بهيجة ...

وفي انتظار ما سيكون ، ولأن 'جون' يبخل عليها بصداقته فيكفيها
الآن صداقة جواده 'ميدنايت' .

واستطردت تخاطب الجواد :

- 'ميدنايت' ... اعرف جيدا أنك تريد ثمرة الجزر هذه ... بل أنت
نصبو

إليها بشدة .

قلل الجواد ساكنًا لا يتحرك ، متجاهلاً ملاطفات المرأة الشابة ...
واستمرت هي في حديثها ضاحكة :

- إن .. إن جميع صديقاتك بمتدحج جمالك ... أما أنا فلن أقول
شيئا من هذا القبيل .. فبالنسبة لي لست سوى جواد متغطرس .

لم يتحرك 'ميدنايت' وقلل بمضغ 'الدريس' ...

وقالت 'جودي' :

- كنت الظن أن لي بعض التأثير عليك ... يجب إذن أن الجأ إلى
وسائل أخرى...

وراح الجواد يهز ذنبه في خيلاء وكان وجودها لا يعنيه في شيء .

واستمرت 'جودي' في حديثها :

- أيها الشيطان الصغير ، إنك أكثر عنادا من سيدك ...

وصهل الجواد ، وعادت 'جودي' إلى الحديث :

- وإذا قلت لك إن معي في جيبي اثنتي عشرة قطعة من السكر ...

تخيل قليلا حلاوة مذاقها ...

تقدمت خطوة وهي تتكلم وفي هذه المرة راح الجواد يهز رأسه يمينًا

ويسارًا .

وقالت برقة :

- تقدم لتحصل على السكر ...

وركل الجواد الأرض بحافره .

- إنني لم أر جوادا أكثر منك عنادا .

وتقدمت ثلاث خطوات ، وكان الجواد الضخم يراقب حركاتها وهو

يكاد يكون جامدا في مكانه . وهزت 'جودي' رأسها وهي تضع يديها

على خصرها قائلة :

- تظن أنك تبهرني بموقفك هذا ...

وسمعت في تلك اللحظة صوتا صادرا من خلفها وقالت لنفسها :

إنه 'سام' من غير شك ... الذي كان قد منعها من الدخول في المربع

الخاص بالجواد .

- لا تتحركي ...

كان هذا هو صوت 'جون' العميق ... وتسمرت في مكانها ...

mjerko

السلوك غير العادي وارتفع قائمها الاماميان إلى أعلى . وكتمت
"جودي" انفاسها خوفا من الا يتججج "جون" في كبح جماح الجواد
والسيطرة عليه ... ولكنها أخطأت التقدير : فقبل ان تستقر حوافره
على الأرض كان "جون" قد سيطر عليه تماما .

وقال امرا :

- اخرجني من هنا ...

واطاعته في الحال .

ودار "جون" بجواده ثلاث مرات في ساحة الحظيرة قبل ان يهبط إلى
الأرض ويسرع نحو "جودي" وقد استشاط غضبا . وامسك بكتفها
صائحا :

- امجنونة انت ام ماذا ؟ كان من الممكن ان يقتلك ! ...

ولما تركها ، تقهقرت "جودي" بضع خطوات إلى الوراء شاردة
البصر ، فلم يسبق ان لقمها احد بعمل هذا العنف .
واستطرد "جون" قائلا :

- من سمح لك بالدخول في مريع الجواد ؟

لم تستطع "جودي" ان تنطق ببنت شفة . ونال السؤال بدون جواب .
وصاح هو بصوت جهوري :

- "سام" ... "سام" ...

وظهر مسؤول الحظيرة في الحال . كان احمر الوجه يتصبب عرقا
وامره "جون" بعد ان امطره بالشتائم بان يجهز حقائبه ...

ولما رأت الاصفرار يعلو وجه "سام" ، لم تستطع ان تنقل صامتا أكثر
من ذلك وصاحت :

- ...

واستدار "جون" نحوها وقد تملكه الرعب ... وكانت لا تفصل بينهما
غير خطوة واحدة .

راحت تدقق النظر في هذا الوجه الذي تغيرت ملامحه تماما ... ولد
تملكها الغضب تماما ... كانت ذائرة كالبركان ، وتلطأير حمم الغضب
من عينيها ...

ولم يستطع "جون" من جانبيه السيطرة على نفسه : لقد شاهد

الفصل الرابع

تجمعت "جودي" في مكانها وقد اسرعت ضربات قلبها ، ولولا الذعر
الذي تملكها من جراء الأمر الذي أصبره لها لواجهته لكي تدخل
الطمأنينة على قلبه ، ولأخبرته انها تقترب من الجواد منذ عدة أيام ،
وانها تعودت طوال حياتها على ترويض الحيوانات ومداعبتها ،
تماما كما تفعل مع الأطفال .

الم يعتقد والدها القول دائما إنها يمكن ان تجعل من الدب الجريح
صديقا لها؟ ... ولكن صوت "جون" الأمر الحاد شل حركتها ولسانها
تماما ...

وتخطأها دون ان ينظر إليها ، وانركت انه في قمة ثورة غضبه .
وراح الجواد أثناء ذلك يراقبهما وهو يضرب الأرض بحوافره .
وأصدر "جون" من بين شفتيه صغيرا ، قاطاعة الجواد في الحال :
فقد خفض رأسه ، واسرع صوب سيده ، ووقف امامه تماما وهو لا
يزال يركل الأرض بحوافره .

امتطى "جون" ظهر الجواد العاري . واعترض الجواد على هذا

المائدة . ولم ينطق أحدهما بكلمة طوال فترة العشاء ، فلم تجد 'جودي' الشجاعة لقطع هذا الصمت إلا عندما قدم كبير الخدم أقداح القهوة :
- أنا لا أريد التحدث عما حدث بعد ظهر اليوم ، ولكني أود أن أحدثك عن 'سام' ...

وأخذ 'جون' رشفة من فنجان قهوته وقارب ما بين حاجبيه إظهاراً لعدم ارتياحه للخوض في هذا الموضوع الذي يعتقد أنه لا يعنيه في شيء . وقهمت 'جودي' مغزى حركته ، ولكنها استطرت قائلة :
- إن إجبار 'سام' على مغادرة الجزيرة يعني بالنسبة له قطع قدميه الأيمنتين . لقد ولد هنا وأمضى شبابه كله في 'سان ستيفن' ، والجياد هي الأسرة الوحيدة التي بقيت له ... كما أنه غير مسؤول عن عدم إيراكي لخطورة الموقف ... لقد نيه علي مئات المرات بعدم الاقتراب من 'ميدنايت' . وأنا والثقة من أنه كان سيعتني من الاقتراب من الجواد إذا أدرك نواياي ، ولكنني تسللت إلى الداخل دون علمه ... ومن الظلم أن يفقد كل شيء بسببي ...

أعاد 'جون' فنجان القهوة إلى مكانه على المائدة دون أن ينطق بكلمة واحدة .
- 'جون' أنا على ثقة من أنك تكره الظلم كما أكرهه أنا ... ونظر 'جون' إلى 'جودي' في شيء من الغيظ والدهشة وهو يقول لنفسه : هل تجرؤ على مناقشة قرار اتخذه رب هذا المكان ؟ ثم قال لها :
- سوف يرحل 'سام' غداً كما هو مقرر .

ووقفت عند سماعها هذه الكلمات وواجهت نظراته بتحد :
- إنني أنا أخطأت في الحكم عليك ... ولكن ليس لهذا أهمية الآن . وغادرت المكان دون أن تضيف كلمة أخرى ، ولكنها وقفت بعد أن سارت عدة خطوات واستدارت قائلة :

- قال لي أبي شيئاً في أحد الأيام . أدركت اليوم مقدار صلفه وحكمته . إن أضعف الرجال هو الذي لا يعترف بأخطائه ... لم تحس 'جودي' أنها ترتعش من قمة رأسها إلى أخمص قدميها إلا بعد أن عانت إلى جناحها . وراحت تفكر في خيبة أملها وهي جالسة على حافة سريرها مغلقة العينين ... نعم ... لقد أخطأت في

'جودي' من نافذة مكتبه وهي تدخل الحظيرة وتقترب من 'ميدنايت' ، وشل الخوف حركته بضع ثوان وهو يتخيل حوافر الجواد الصلبة وهي تنك جسده 'جودي' الهش وخيل إليه أنه قد جن ... لقد جاءت ثورة الغضب بعد ذلك .

فصاح بها :
- أنت خطر حقيقي ، وأنا أمتك من الاقتراب من الحظيرة بعد الآن ... هل فهمت ما أقول ؟

واحسنت 'جودي' برغبة كبيرة كأنه قد انهال عليها صلعاً ، وسالت رموعها على خديها ، واجابته - بهزة من رأسها - بأنها لن تعاود فعل ذلك أبداً ، ثم استدارت على قدميها وأسرت مبتعدة في شموخ ، وكاد 'جون' يسرع خلفها ويضعها إلى صدره طالباً الصفع ... لقد كان ثائراً ضدها وضد نفسه . وراح يتخلل شعره بأصابعه في حدة وعصبية ، وندم على ثورته عندما رأى نظرات 'سام' البالسة ... لقد كانا قيما مضى صديقين متقاربين .

قال 'سام' :
- سارحل قبل ظهر الغد .

ومن جديد وجد 'جون' نفسه وحيداً .

كانت 'جودي' مثوثة الأعصاب إلى درجة كبيرة عندما نزلت في المساء إلى الطابق السفلي . كانت تفضل تناول عشاها في غرفتها ، ولكن كان عليها أن تواجه 'جون' في محاولة منها لإنقاذ 'سام' . قالت بركة وهي تدخل قاعة الطعام :

- مساء الخير يا 'جون' .
كان 'جون' يوليها ظهره وهو متكئ على حافة النافذة ، واستدار ليواسيها وقد نهش لرؤيتها .
- مساء الخير يا 'جودي' .

وراح كل منهما يحقن إلى الآخر برهة قبل أن يجلس في مكانه على

حكمها على 'جون' ... إنه ينضم إلى هذه الفئة من الرجال الذين
تعتبرهم أخطر رجال الإنسانية جمعاء : الرجال الذين لا قلوب لهم ...

مرت ساعة ، وعلى الرغم من أن 'جون' منعها من الاقتراب من حظيرة
الجناد فقد قررت الذهاب إلى هناك ... كان يجب عليها أن تتكلم مع
'سام' للمرة الأخيرة ، وتخبره كم هي أسفة على رحيله الإجباري الذي
تعد نفسها مسؤولة عنه .

عبرت المنزل الصامت كعادته ، وخرجت إلى حيث الليل .. والنسمات
المتعشة . وكانت هناك فوانيس مدلاة تضيء مساحة دائرية حول
'القيلا' . وكانت الحظيرة لا تحظى بمثل هذه الأضواء . وأحست
برعشة تسري في أوصالها وهي تنظر إلى القمر والسماء الخالية من
النجوم ... كم من الوقت ستظل سجيناً هذه الجزيرة ؟ وفضلت عدم
التفكير في هذا الأمر . ولكنها كانت تأمل بعد ما حدث اليوم أن تغادر
هذا المكان عن قريب وتعود إلى منزلها وأهلها .

كان باب الحظيرة مفتوحاً على مصراعيه ، ورات 'سام' من بعيد
وأصابتها الدهشة لمشاهدته وهو منهمك في العمل ، بل لقد خيل إليها
أنه يترنم ويصفر .

وقالت عندما وصلت إلى عتبة الباب :

- مساء الخير يا 'سام' .

واستدار على عقبه في قفزة سريعة وهو يبتسم ... وسرعان ما
تلاشت الابتسامة وعبس وجهه وهو يقول :

- الآنسة 'لوفين' ... كان يجب ألا تأتي إلى هنا ...

- أعلم ذلك ، ولكني أريد أن أقدم لك اعتذاراً .

وهز كتفيه :

- لا تفكري في ذلك بعد الآن ... لقد انتهت كل شيء على خير مايرام .

وقالت 'جودي' وقد تملكها الدهشة الشديدة :

- أريد أن تقول إنك لن ترحل ...

وهز 'سام' رأسه قائلاً :

- إنها المرة الأولى التي يغير فيها السيد 'ماكفارلاند' رأيه ... ومع
ذلك فقد كان على حق ... كان يجب أن أمنعك من الاقتراب من 'ميننايت'
حتى من وراء ظهري ، لقد عوملت بما استحق ، ولكن ما يدهشني حقاً
هو رجوعه عن رأيه ..

لم تصدق 'جودي' انذيتها ، وأحست بالراحة ، وراحت تضحك من
مخاوفها ، لقد أخطأت في حكمها على 'جون' حينما اتهمته بأنه 'رجل
بلا قلب' ...

واستطرد 'سام' قائلاً :

- لقد كنت تقابلين السيد 'ماكفارلاند' وأنت في طريقك إلى هنا ...
لقد ذهب إلى حيث يوجد 'ميننايت' ، ولا أريد أن يراك هنا ...

وأجابته 'جودي' بقولها :

- لا تقلقي ، فانا ذاهبة ...

واستعدت لمغادرة الحظيرة عندما استوقفها 'سام' قائلاً :

- تعالي لرؤيتي وقتما تشائين ، فسوف تحزن 'يرنسيس' إذا لم
تحضري لها الجزر من وقت إلى آخر .

وصالحته 'جودي' اعترافاً منها بالجميل .

- شكراً يا 'سام' .

واسرعت بمقابلة المكان ولكنها شعرت في منتصف الطريق برغبتها
في التعبير لـ 'جون' عن امتنانها وفرحتها .. ولكن .. أهذا ما تريده
فعلاً ؟ أم أنها تريد رؤية 'جون' نفسه .. وعادت أدراجها إلى الحظيرة
دون التفكير أكثر من ذلك في دوافعها الحقيقية ...

ورأت 'جون' من بعيد وهو يقادر ساحة الحظيرة .

وقالت بعد أن اقتربت منه :

- ليلة جميلة ... أليس كذلك ؟

أخذ 'جون' على غرة ، وحاول تقادي نظرات المرأة الشابة وهو يقول :

- بل هناك بؤاد عاصفة ...

قالت وقد ارتسمت بسمة رقيقة على شفتيها :

- لا .. أعتقد أن العاصفة قد هدأت تماماً .

هز كتفيه وهو يقول عابسا :

- لقد سبق وقلت لك . إنني لا أريد أن أراك بالقرب من هذا المكان .

- إن أعود ثانية إلى هنا ، إذا كان ذلك هو ما تريده فعلا ، ولكنني أحب أن أراك شيئا وأرجو ، بعد ذلك ، أن أحوّز ثقتك .

لم يجيبها بكلمة واحدة .. لقد أقر بعد حادث الجواد أن يعيدها إلى والدها في أسرع وقت ممكن ، ولكن فجأة لم تعد هذه الفكرة تروقه ؛ إنه يرغب فعلا في أن يتخلص من هذه المرأة المقتحمة التي يزداد نفوذها يوما بعد يوم ... إنها تستحوذ على أعلامه ، وتستأثر بجميع أفكاره ، ومنذ وصولها إلى الجزيرة لم ينق طعم الراحة .

واستطربت قائلة :

- أريد منك وضع ثوان فقط ...

ووافقها على الرغم منه بهزة من رأسه ، وعانت "جودي" إلى داخل الحظيرة واتجهت من فورها إلى حيث يقف "ميينايت" وقلدت صغير "جون" لتجنب انتباه الجواد ، ورفع "ميينايت" أنفيه ، وبرز يتقدم ببخطه تجاهها . وما كاد يصل بالقرب منها حتى راحت تربت على ظهره وهي تهمس :

- ما أجملك من جواد يا "ميينايت" ... أنا لا أحمل معي قطع السكر ، ولكنني سأحضر لك غدا الكثير منها ، فانا أريد فقط أن أبرهن لسيدك أننا أصبحنا أصبغاء .

وصهل الجواد ولكن لم يبد عليه السرور عندما تراجعت "جودي" بوضع خطوات إلى الوراء .

لم يكن "جون" يصق عينيه : كان "ميينايت" هادئا معها وكأنه جواد وليد .

وقالت المرأة الشابة بهدوء :

- لم أكن أعرض لأي خطر ، لقد أصبحت أنا و"ميينايت" صديقين . - منذ متى ؟

- إنني أحضر هنا كل يوم بعد الظهر لرؤيته والتحدث إليه ، ولقد تم الصلح بيننا منذ يومين ... أنا أستطيع الآن أن امتطيه ... ولكنه جواك وأنا لا الفكر في ذلك مطلقا ...

أخذ "جون" يفكر بينه وبين نفسه : لماذا تحرم نفسها من امتطاء الجواد ؟ ... إنه لم يعد يعرف طعم الهدوء والراحة منذ وضعت المرأة الشاببة قدميها في الجزيرة . لقد اتهمته بالضعف بأسلوب ملائكي رقيق ، وواجهته بشموخ ولين وثبل ، حتى بدا يشعر أنه لن يعود أبدا كما كان من قبل ... لقد سحرت الجميع بما فيهم هو نفسه . إنه لم يعد يثق في نفسه بما فيه الكفاية . وأدار ظهره لـ "جودي" وانصرف .

وايقظت إحدى الخاديمات "جودي" فجر اليوم التالي قائلة لها في ألب ورقة :

- السيد "ماكفارلاند" ينتظرك يا أنستي .

وجلست "جودي" وهي تفرك عينيها :

- ينتظرني ؟ ... أين ... ؟

- في حظيرة الجياد ...

- هل يريد أن نتنزه معا ؟

- هذا ما اعتقده يا أنستي .

واجتاحتها فجأة موجة من النشاط والحيوية . وألقت بالإنطية بعيدا عنها وغادرت السرير :

- قللي له . إنني ساكون عنده بعد ريع الساعة على الأكثر .

- سأنهض في الحال يا أنستي ...

وارتدت ملابسها وأسرفت مهولة إلى الحظيرة .

كانت "برنيسيس" تقف على أهبة الاستعداد إلى جانب "ميينايت" - وصاحت "جودي" في حبور :

- صباح الخير .. يا له من جو رائع .

وأجابها "جون" وقد بدا عليه السرور :

- بديع ...

كان الجو معطرا برائحة النباتات والأزهار بعد عاصفة الأمس ،

وكانت قطرات الندى تتجمع فوق أوراق الأشجار وتلمع كأنها قطع من
الماس .

وسألها 'جون' :

- هل أنت مستعدة ؟

- تمام الاستعداد .

واسرع 'جون' بجواده بنفس اندفاع المرة السابقة .. ونجحت المرأة
الشابة في تتبعه عن كثب ، ولكنها أحست بالإرهاق الشديد حينما
توقفا عند الطرف الآخر من الجزيرة .

وقال لها 'جون' فجأة وهما يترجلان بمحاذاة الشاطئ :

- إنك امرأة المفاجآت بحق ...

- أنا ؟ ... هل تقود جوائك دائما بهذه السرعة الجنونية ؟ ... يخيل
إلي أنك ولدت على ظهر جواد ... في أي سن بدأت تتعلم ركوب
الجواد ؟!

وارتسمت ابتسامة عريضة ببطء على شفطي 'جون' :

- أراك محبة للاستطلاع اليوم ...

- هل يزعجك هذا ؟

وترد برهة قصيرة وقال :

- لا ...

- اظن أن طفولتك كانت ... مضطربة ... !!

وفهقه ضاحكا :

- يمكنك أن تقول لي ذلك ... قبل بلوغي سن الثالثة عشرة كان قد قبض

علي مرتين ..

- البوليس ؟

- كنت أعلم أنني سأسبب لك صدمة ..

- لماذا ؟

- السرقة ... إن البعض يزعمون أن الماضي يتبع خطوات المرء حتى

ملوؤه الأخير .

- أنا لا أؤمن بذلك ... أنا على ثقة تماما من أنك رجل شريف .

وناشر 'جون' . لأن 'جودي' تدافع عنه بهذه الحرارة ، فمنذ نعومة

انظاره لم يثق به غير رجل واحد ... ولكنه لم يعد في دنيا الأحياء
اليوم ..

أحست 'جودي' بالحرص إزاء صمت 'جون' وشعرت بصدرها
ينقبض ... لقد رأت في عينيه كل جروح الماضي ، وكأنها تقرأ في كتاب
مفتوح .

وسألها فجأة :

- وانت .. هل حدث أن حدث عن الطريق المستقيم ؟

- إنك تعني من غير شك ، باستثناء وقوعي في حب رجل متزوج ..

يبدو أنها ما زالت تحس بالمرارة من جراء هذه القصة الئيمة حتى
أن 'جون' لم تفسه على إلقاء هذا السؤال ..

- سائير دهشتك من غير شك حينما أقول لك إنه كان من الممكن إلقاء
القبض علي .

وابخلت دهشته السرور على نفس 'جودي' :

- من أجل السرقة أيضا ، ولكنني كنت من الذكاء بحيث لم أتعرض
لشيء .

وانفجرت ضاحكة وامتنطت ظهر 'يرنيسيس' وأسرفت مبتعدة مثيرة
سحابات من الرمال من ورائها . واستطاع 'جون' أن يلحق بها بسهولة
وراحت تحرق فيه بعينيه اللامعتين قبل أن تنزل من فوق حصانها
إلى الأرض ، وراحت الرياح تعيث بشعرها الطويل ، وهي تقول :

- كم أحب هذه الجزيرة ... إنها جميلة هادئة ... وأرى أنها سحر
يدورها قيادرت بشرائها ...

ولحق بها 'جون' على رمال الشاطئ ... إنه يعرف أنه سوف يقبلها
وأنه سوف ينضم على ذلك فيما بعد ... ولكن ماذا يهم ذلك الآن . وضع
يده برقة على كتف 'جودي' وطلب منها مواجهته ، كان سيبتعد عنها
في الحال إذا أبدت أقل مقاومة ... ولكنها ظلت جامدة في مكانها
وكانها معلقة بين السماء والأرض .

وتلاقت شفاهما في رقة . ثم سرعان ما تباعد كل منهما عن الآخر .

وهمس 'جون' وهو يتراجع عدة خطوات إلى الوراء :

- أكان يجب علي ألا أفعل ذلك ؟

واجابته 'جودي' هامسة بنورها :

- انا لا اسف على شيء .

- لا تقولي ذلك .

وراح يتخلل شعرها باصابعه . ووضعت هي راسها على كتفه

وقالت وهي تتنهد :

- نعم ... انا لا اسف على شيء .

واحس 'جون' امامها انه هلل كطفل صغير ... ولكن كيف استطاع

ان يرتكب هذا العمل الجثوني ... كان يشعر بالغضب . ولكن ضد

نفسه فقط ... كيف استطاع ان يوجه إليها العتاب بهذه الصورة

العنيفة في اعقاب حادث الجواد ؟

وقال وهو ينظر إليها في توسل :

- انني اسف حقا لانني تحدثت معك بتلك اللهجة الغاضبة .

وادركت انه يشير بذلك إلى ما حدث في حفيرة الجياد . وهمست

قائلة :

- اعلم ذلك ...

- لماذا لم تقولي لي انك لم تكوني معرضة لأي خطر ؟

- كنت لن انجح في إقناعك بشيء ... فقد كنت في ثورة غضب .

وكنت تخشى ان يصيبني سوء ...

ولف لراعه فوق كتف 'جودي' وهو يقول لنفسه : كيف يمكن مقاومة

هذا الإنسان الرقيق الذي يتلمس له الأعذار ؟

- ولكنني اليوم نفسي كثيرا على ما قلت ...

- لماذا ؟ لقد نسيت كل شيء .

واكد لها 'جون' :

- اما انا فلا ... ارجوك . إذا رغبت في أي شيء فما عليك إلا ان

تسأليني إياه ... وسوف اقدمه لك في الحال ...

لابد ان هناك آلاف الأشياء تحلم بتملكها : جواهر ... سيارة ...

يخت ...

واستطرد قائلا بسرعة :

- فيما عدا الحرية بطبيعة الحال ...

- 'جون' ، ارجوك ، انا لا اريد شيئا ...

- ولكنني اصر .

وعبس وجهه بعض الشيء ، وراحت 'جودي' تضغط باستانها على

شفرتها السفلى وهي تدرك أن من العبث معارضته : كان يريد أن يؤكد

لها ندمه بالشيء الوحيد الذي يملكه : النقود ...

- اتقول ... كل ما اريد .

وهز رأسه علامة الموافقة .

- إنني اريد إعادة بناء المدرسة الوحيدة في الجزيرة ، إنها قديمة

العهد وأيلة للسقوط والأطفال معرضون فيها للأخطار ...

- نعم ... طالما يتبعين عنه ..

- أه لو علمت مدى سرور الأطفال بسبب المدرسة الجديدة ..

- يجب ألا توجّهوا الشكر لي ... بل للسيد "ماكفارلاند".

- ولكنتك امرأته ، ولولاك لما طرأت على نهته فكرة إعادة بناء المدرسة.

كانت "جودي" قد كتبت منذ زمن طويل عن القول لأهل الجزيرة إنها

ليست امرأة صاحب هذا المكان ... وكان تفكيرها لا يزال نهبا

للمنناقصات ... إنها لم تعد تشك في طيبة قلب "جون" وسخائه ولكنها

لم تكن ، في نفس الوقت ، تعلم مغزى البرود الذي كثيرا ما يبديه

نحوها ... وكانت تأمل في إزاحة الستار عن هذا السر عندما تزداد

قربا منه .. إنه لا يتحدث كثيرا عن نفسه ، ولكنها عرفت منه أن أبويه

هجرا بعد مولده ، وأنه أمضى طفولته متنقلا من ملجأ إلى آخر ،

وأن أحد أساتذته ويدعى "ستيغن فيشر" أخذته به الرافة ومد له يد

المساعدة في مشروعه الأول ، ولكن الأجل والماء لسوء الحظ قبل أن

يشاهد مدى نجاح تلميذه في بنيا المال والأعمال ، وللعرقان بجميله

أطلق "جون" اسمه على الجزيرة .

وعلى الرغم من القبلة التي تبادلها بالقرب من الشاطئ فإن

علاقتهم لم تتغير وكان يخيل إليهما أنه يفر منها كفراره من الطاعون .

فهو لم يدعها بعد ذلك أبدا للتتزه فوق ظهور الجبال ، ولم تكن "جودي"

تراه إلا في أثناء فترة العشاء ...

كانت رسائل أسرتهما تصلها بانتظام ، وكان والدها وشقيقها

يعبران عن قلقهما بشأنها ، ولكنها لم ترد في أن تؤكد لهما أنها

سعيدة في الجزيرة والغريب في الأمر أنها كانت تحس بأنها لا تكذب

وهي تخط ذلك بقلمها ...

رجعت "جودي" إلى الفيلا قبل الظهور وهي تضع فوق رأسها تاجا

من الأزهار كأن أشقاء وأم "باولو" قد صنعوه خصيصا لها .. ولما كان

الوقت لا يزال مبكرا لتناول طعام الغداء فقد عكفت على كتابة رسالة

طويلة لوالدها ... إنها سوف تعطي الخطاب لـ "جون" ليرسله بمعرفته

عن طريق البريد .

والتجهت صوب مكتب هذا الأخير ووجدت الباب مواربا ولم تقاوم

الفصل الخامس

كانت "جودي" تعبر طرقا القرية وهي تحمل على كتفها طفلا في

السنة الأولى من عمره ويتبعها جماعة من الأطفال . ووقف الجمع

الصغير عند مشارف المدرسة حيث كان عدد من العمال يعملون في

تشبيد البناء الجديد .

وقالت "جودي" للأطفال من حولها :

- لقد وعد السيد "ماكفارلاند" بإنهاء أعمال البناء قبل نهاية هذا

الشهر ..

لقد سارت الأمور بسرعة كبيرة مما أثار دهشة الجمع ، فمنذ اليوم

التالي لحديثها مع "جون" بدأ العمال يتوافدون على الجزيرة .. ومعهم

أطنان من المعدات . وأحست المرأة الشاببة بكثير من الامتنان عندما

فكرت في الأموال الطائلة التي أنفقها "جون" من أجل إجابة طلبها ...

واقترحت أم الطفل الذي تحمله "جودي" قائلة :

- إن "باولو" يحبك جدا ...

وعندما رأى الطفل أمه فتح لها ذراعيه ، فقالت "جودي" وهي تبتسم :

الرغبة في الخول ..

كان "جون" جالسا إلى مكتبه وهو مستغرق في الكتابة .

قالت بصوت منخفض :

- أرجو المعذرة ... أنا لا أريد إزعاجك ...

وانفجرت أسارير "جون" عندما رأى "جودي" : وكانت ثنثابه أرق

الأحاسيس عندما يقع بصره عليها .

كانت بشرتها البيضاء قد لفتتها الشمس وبتت بفستانها الصيفي

المثواضع وتاج الأزهار الذي يزين رأسها كانتا هابطة من السماء .

- أنت لا تزعجينني في شيء ...

- ما أجمل هذا الصباح ... ألا ترى ذلك ؟

كانت تكرر قبلتهما مازالت تلح على فكره ، وراح يتفادى لقاءها ..

فعندما أمر بمجيئها لتؤنس وحدته في الجزيرة كان يظن أنه سوف

يلعبها بسرعة ... ولكنه أصبح الآن لا يطيق مفارقتها ... إنه لم يعد

قط على أن يعيش مثل هذه المتناقضات ... إنه ما كان ليتردد في

إرجاعها إلى أهلها لو كانت غير سعيدة أو لو طالبتة هي بذلك ...

ولكنها لم تفعل و ...

قالت "جودي" :

- لقد أمضيت فترة الصباح مع الأطفال ... أأد لو علمت كم هم

سعداء .

هز "جون" رأسه وكان الأمر لا يعنيه في شيء وهو يقول :

- هل هم الذين أهدوك هذا الإكطيل من الأزهار ؟

وتحسست الورد بأصابعها وهي تجيب :

- نعم ...

وشاهدت لعبة للشطرنج على طاولة صغيرة وقفزت إلى رأسها فكرة

ما :

- هل تمارس لعبة الشطرنج ؟

- نعم ... أحيانا ...

- هل اطمع في أن تترك عملك بعض الوقت .

والقى نظرة على ساعة معصمه وقال :

- ٥٨ -

- نعم ...

- فلنلعب دور شطرنج إذن .

ونظر إليها "جون" بإمعان : إنه لا يستطيع أن يرفض لها طلبا .

- موافق ...

إنه عندما يراها تبتسم على هذا النحو يخيل إليه أن الشمس قد

سطعت فجأة ...

- ما رأيك إذا قمنا بالرهان على نتيجة المباراة ؟

- بالتفوق ؟

- وهز رأسه قائلا :

- لا ...

- بماذا إذن ... ؟

- يحدد الطرف المختصر طلباته .

- ولكن ...

- ألا تجيبين للعب ؟

- إلى حد ما ... إذا خسرت فماذا ستطلب مني ؟

- لا أعلم الآن ... ولكنه سيكون من غير شك شيئا قليلا ... وماذا

ستطلبين أنت .

- شيئا قليلا أيضا ...

وآثرت فيه ابتسامة "جودي" التي تضيء وجهها وحاول أن يتحاشى

النظر إليها ولكنه لم يستطع .

- حسن جدا ... ابديي إذن اللعب ...

ووجد "جون" صعوبة في التركيز في اللعب ... كانت المرأة الشابة

تجيد اللعب ولكن ليس بنفس مهارته ، وسرعان ما أدرك أنه لن تعضي

عشر دقائق حتى يكون قد حقق النصر ... ولكنه لم يكن واثقا من أن

هذا هو ما يريده بالفعل : إنه إذا خسر فسوف يقدم لها ... شيئا

صغيرا ... وأغراه ذلك كثيرا وتخيل "جودي" وحول رقبتها هذا الشيء

الصغير ... عقد من اللؤلؤ الثمين .

- "جون" ، إنه دورك .

وحرك هذا الأخير "فارسه" وقالت هي بسرعة :

- ٥٩ -

- إنك لم تحسن اللعب ... أبداً من جديد ...

- ليس هناك ما يدعو إلى ذلك .

- أوافق أنت ؟

وراح يديق النظر في المربعات أمامه وتأكد أنه لن يفقد الملك ولا المباراة .

- حتى إذا كنت قد أسأت اللعب ، وهو ما لا اعتقده ، فإنه من غير العدل أن أعاود هذه اللعبة من جديد .

وترأصت الاضواء في عيني "جودي" :

- كما تريد ...

ودفعت "البرج" ووضعت في الخانة القريبة من "الملك" الذي لم يكن هناك من يدافع عنه وصاحت منتصرة :

- كش ملك ... !

رفض "جون" تصديق ما حدث وبقى النظر في مختلف الخانات أمامه وادرك أنها على حق : إن هذا يعطيه درساً في عدم الاستهانة بكفاءة الخصم ... !

إن بداية لعب "جودي" المتواضعة في رايه ، كانت تهدف ، من غير شك إلى إعطائه فكرة خاطئة عن مقدرتها في اللعب .

قالت وقد ارتسمت على شفيتها ابتسامة عريضة :

- لقد ربحت ... ولي الحق في الحصول على شيء صغير .

- تماماً ... ماذا تطلبين : عقداً من الماس .

- لا .. لا شيء من هذا القبيل ...

- سيارة إذن ؟

- أنت تمزح من غير شك .

- ماذا إذن ؟

- بعضاً من وقتك .

والجمته الدهشة لحظات قال بعدها :

- ماذا ؟

وكررت جملة لها :

- أريد بعضاً من وقتك ... أنت تعمل أكثر من اللازم ... ما فائدة

الحياة في الجنة إذا أغلقت على نفسك باب مكتبك الساعات الطوال ؟ ..

- وما علاقة ذلك بفورك في الشطرنج ؟

- سنذهب معا لتناول طعام الغداء على الشاطئ وقضاء فترة ما بعد

الظهر في استرخاء بين أحضان الطبيعة الساحرة .

راقت الفكرة "جون" ولكن هل نسيت المرأة الشابة أن مكاتب

إمبراطوريته الصناعية المنتشرة في أركان العالم الأربعة لا يمكن أن

تستغني عنه لحظة واحدة ؟

- أسف ، ولكنني لا أملك الوقت للاسترخاء .

- لم يكن لك أن تراهن إذن !

- أنا أفضل بصراحة أن أقدم لك هدية ... وأنا أعرف ما هي هذه الهدية .

- إنك لا تحترم كلمتك ... وهدياك لا تعطيني في شيء ... كل ما أريده هو تمضية فترة بعد الظهر معك .

- لا أستطيع يا "جودي" أن أفقد وقتاً ثميناً لإرضاء إحدى نزواتك .

- بل يجب ذلك !

- علي أن أقرأ عدداً من التقارير . وأجري مكالمات تليفونية مع البنوك و ..

وقاطعتة قائلة :

- أعرف ذلك كله ...

- هناك قرارات على جانب كبير من الأهمية علي أن اتخذها .

ولكن ذلك كله لم يجد فتيلاً مع "جودي" ...

- سانتظرك بعد ربيع الساعة أمام الباب ... وإذا لم تحضر فسوف أنهب بمفردي .

تركته وقد استبد به الغضب ولكنه سرعان ما انفجر ضاحكا ...

وصلت "جودي" إلى الدليل المؤدي إلى باب الخروج في الوقت المحدد تماماً ، ولما لم تجد "جون" في انتظارها حملت سلة المأكولات

ويدات تسير صوب الشاطئ ...

وراح "جون" يتابعها بنظرة من نافذة مكتبه . لقد كان في إمكانه أن يقضي بعض الوقت في صحبتها . ولكن في كل مرة يقترب منها كانت تجتاحه موجة من الأحاسيس الغامضة ... إنه لأول مرة يرغب في الاقتراب من امرأة مدفوعة بشيء آخر غير الغريزة ... كان يحلم بأن يأخذها بين ذراعيه ليصغي إلى حديثها خلال الساعات الطوال ... حديثها عن طفولتها وشبابها الباكر ... كما كان يريد أن يحدثها عن طفولته هو وعن أشياء كثيرة أخرى ... لقد علم من حديثها أنها كانت قريبة جدا من أمها ولكنها لم تشر قط إلى أبيها أو شقيقها ... وكان يتفادى هو هذا الحديث خوفا من أن يثير شجنها .

ومن الغريب أنه كان يجد لذة كبيرة في الحديث معها عن نفسه ... كانت "جودي" تملك موهبة تشجيعه على مثل لحظات الضعف هذه . واستدار فجأة إلى البار القابع في أحد أركان المكتب وصوب لنفسه كاسا شربه بفرجة واحدة ... إنه يريد أن يكون في صحبتها ... ماذا ينتظر إذن؟

وسمع صوتا يناديه :

- السيد "ماكفارلاند" ...

إنه "أفري أندرسون" ... كان يقف على عتبة الباب ينتظر أن يؤذن له بالدخول .

وقال "جون" بصوت جاف :

- نعم ... ماذا تريد ؟

- إذا لم أكن سأزعجك ..

- ماذا تريد ؟

وقال "أفري" بصوت منخفض :

- إن الأمر يخص الآنسة "لوفين" .

واستبد القلق بـ"جون" الذي حاول أن يخفيه عن عيني مساعده .

- هل هناك مشكلة ؟

- لا ...

- إذن ماذا ؟

وقال "أفري" وهو يتحسس رقبتة بأصبعه :

- لقد مضى شهر كامل على وجودها في الجزيرة .

- أعلم ذلك .

- أنا ... أريد أن أقول إنه من الصعب أن تفرض عليها البعد أكثر من

ذلك عن أسرتها .

قال "جون" لنفسه : إن "جودي" مسرورة لوجودها في الجزيرة . لماذا

يتدخل هو إذن في هذا الموضوع ؟

- هل اتصل بك أبوها تليفونيا مرة أخرى ؟ ... أو أرسل لنا خطابا؟

- لا ... ولكن ...

- ولكن ماذا ؟

قال "أفري" وهو يحس برغبة في أوصاله :

- إذا الذي أوجه إليك السؤال يا سيدي .

- أنت ؟

- نعم أنا ...

- وماذا يعنيك في هذا الأمر ؟

- ولكن يا سيد "ماكفارلاند" ...

- كفاك هذا يا "أفري" يمكنك الانصراف ...

وتردد هذا الأخير قليلا ثم استدار على عقبه ليغادر المكان . أما

"جون" فظل لحظات ينظر صوب الباب الذي أغلق في هدوء : إن

موظفيه قد وقعوا بدورهم في شرك جاذبية "جودي" ، إن "سام" لا

يتوانى لحظة عن خدمتها ، وتنتشجر الخادومات فيعا بينهن ليلبين

طلباتها وحتى رئيس الطهاة لا يقدم الآن إلا الوجبات التي تفضلها ...

لقد قيل إنها ذهبت إليه في المطبخ لتشكره وطبعت قبلة على رأسه

الأصلع .

وراح "جون" يتخلل شعره بأصابعه : لقد أسرت الجزيرة بأكملها ...

وكان هو الوحيد الذي مازال يقاومها .

وصاح حائقا :

- "أفري" ...

- سيدي .

- أرجو أن تلغي مواعيدي فترة ما بعد الظهر ...
قال مساعده وقد تملكته الدهشة البالغة :
- ماذا ؟

- لقد سمعت جيدا ما أقول -
- هل تشعر أنك مجهد ... مريض ... هل استدعي الطبيب ؟
- لا ... أريد أن أصارع الأمواج .
- تسبح في البحر ؟
وخيل إلى 'أفري' أنه يحلم .
- نعم ... متى تمتعت بحريتك بعد الظهر ؟
- لا أتذكر يا سيدي .
- اذهب للاسترخاء ... إنه أمر .
وأضاحت ابتسامة عريضة وجه 'أفري' ...
- أمرك يا سيدي .

كانت 'جودي' تسلم جسديا لأشعة الشمس وهي مستلقية على ظهرها مغمضة العينين . إن من يراها في حالة الاسترخاء هذه لا يمكن أن يظن أنها فريسة للهواجس وأن العديد من الأفكار تتزاحم في رأسها :
ماذا تفعل في الجزيرة ؟ ولماذا لا تُرغب في معرفة متى سيهبها 'جون' حريتها ؟ وكيف تترك نفسها لأحضان الطبيعة غير عابئة بشيء ... وهي تجهل ما ينتظرها في المستقبل القريب ؟
إنها تلوم 'جون' لأنه رفض قضاء بضعة ساعات في صحبتها ... إن صحبتته تروقها كثيرا ... إنها تعتقد أن القبله التي تبادلها قد غيرت موقفه منها كما غيرت موقفها منه ...

وراحت تفكر تفكيرها عن اليأس الذي تشعر به : ماذا يلحد أن تخفي الحقيقة عن نفسها ؟ إنها تحب 'جون' بالرغم من كل شيء ولكنها لا تعتقد على ذلك الأمل ... فإنه سوف يرسلها إلى أبيها متى سئم وجوبها .

- كنت تعلمين أنني ساحضر ... اليس كذلك ؟
قفزت وأقفه عندما سمعت صوته العميق الدافئ .
- 'جون' .

كان يبدو عليه الغضب ، ولكن سعادتها أعمتها عن رؤية أي شيء .
- أرجوك اجلس ... أه لو علمت كم أنا سعيدة لأنك قررت أخيرا المجيء .

وآزداد غضبه وهو يرى سعادتها وحبورها وقال وهو عابس الوجه :

- إن الكثير من عملائي سوف ينتابهم الاستياء من جراء سلوكي هذا .

- وماذا يهم ذلك ؟ سوف يطلبونك غدا ... يجب ألا تغضب هكذا يا 'جون' فانت الذي طلبت الرهان على نتيجة مباراة الشطرنج ...
- لماذا لا نطالبيني بالجواهر مثلما كانت ستفعل أيا امرأة لو كانت مكانك ؟

- لأن هناك أشياء أؤمن من الجواهر ، وعلى كل حال فانا لا أحب الجواهر ...

الثفتت إلى 'جون' الذي جلس إلى جانبها ، وقرأت في عينيه مقدار تألمه بما تقول ، وراحت تداعب خده بإصابعها . وأغلق 'جون' أعدايه وأخذ راحة يدها في قبضته ثم فتح عينيه ورفع يدها إلى فمه وقبلها ثم جذبها إليه واحتواها بين ذراعيه وقبلها قبلة طويلة ولما ابتعدا عن بعضهما خيل إليهما أنهما يعيشان حلما جميلا شغافا .

وقال لها 'جون' هامسا :

- هيا بنا نسبح قليلا .

هزنت 'جودي' رأسها علامة الموافقة وساعدها هو على النهوض ... كان البحر الأزرق على بعد خطوات منهما يفتح لهما ذراعيه ... واحسست المرأة الشابة برعشة شديدة عندما لامست قدمها الماء البارد بعد الدفء الذي كانت تحس به منذ لحظات بين أحضان 'جون' ، وغطس هذا الأخير لحظات ثم عاد وظهر من جديد فوق سطح الماء ولما رأى موجة عالية أتت نحوهما رفعها برفق إلى أعلى وهو ممسك

بخصرها ... ولكن الموجات التالية راحت تتقاذفهما هنا وهناك وهما
يضحكان في سعادة وحبور واخذ كل منهما يتعلق بعنق الآخر
ويحاول سرقة قبلة خاطفة قبل أن تغمر وجهه المياه ... وجاءت موجة
قوية افقتهما التوازن فاخفقيا لحظات تحت سطح الماء .

وقال 'جون' بعد أن اقتربا من الشاطئ .

- أنت أكثر جمالا في الماء .

- ماذا تقول ؟

- لا شيء ..

علفت يديها حول رقبتيه وابتسمت في امل: ربما باح لها بحبه الآن .

وراح قلبها يدق بشدة .

قال لها بصوت غريب :

- اصفي إلي جيدا .. فانا اريد أن اقول لك شيئا .

وتوقفت عن التنفس وقد داهمتها المخاوف .

- سوف ارحل .

وتملكها الاضطراب الشديد .

- متى ؟

- غدا صباحا .

- لكم من الوقت .

- اربعة ايام وربما خمسة .

وتساعت فيما بينها وبين نفسها : هل قرر كذلك أن يرجعها إلى

منزلها ؟

وارتسمت علامات القلق الشديد في نظراتها فاسرع يقول :

- هل ستنتظريني ؟

واحست بالراحة وهزت راسها علامة الإيجاب :

وهمس في أنفها يقبلها :

- حسن ... سأحاول ألا اتأخر ...

الفصل السادس

سافر 'جون' صبيحة اليوم التالي مع الفجر . كانت 'جودي' تتقلب
في سريرها وكلها اذان صاغية ولما سمعت بعض الاصوات المكتومة
غادرت سريرها واسرعت بارتداء 'الروب' والنزول إلى الطابق السفلي .
ولكن 'جون' كان بعيدا حينما وصلت إلى هناك ... لقد شاهدت سيارته
الجيپ وهي تبعد .. وظلت واقفة بالقرب من الباب وهي مستندة إلى
أحد الاعمدة الرخامية الضخمة المقامة في أرجاء المهبو الاربعة ...
كانت تريد أن تراه للمرة الأخيرة قبل سفره لتتمنى له رحلة سعيدة .
- صباح الخير يا أنسة 'كولين' .

واستدارت المرأة الشابة على عقبيها ورات 'آفري اندرسون' .

- صباح الخير .. أرى أن 'جون' قد بدأ رحلته مبكرا ...

- وسوف يعود كما هي العادة خلال ايام قليلة ... لقد كلغني

بتحقيق كل رغباتك في أثناء غيابه .

وراحت 'جودي' تبتسم وقد .. شعرت فجأة برغبتها في التهام طيق

من 'اليسطرمة' ... طبقها المفضل في 'نيويورك' .

وقال "أفري" مفكرا :

- من النادر أن يتأخر السيد "ماكفارلاند" مدة طويلة ... إنه يعيش هنا في عزلة عن البشر .

وهزت "جودي" رأسها .

- فلنقل إنه يريد أن يفركه الناس لشانه ..

والهتافا عند السلم : ذهب "أفري" إلى مكتبه . بينما عانت "جودي" ادراجها إلى غرفتها وقلبتها مليا بالحزن . وراحت تفكر : أربعة أيام ... إنها ليست مدة طويلة . وألقت نظرة إلى ساعتها ... لقد انقضت حتى الآن خمس عشرة دقيقة على رحيله ...

وألقت بنفسها على حافة السرير وهي تتنهد بعمق : إنها تحب "جون" .. لقد انقلبت آخر شكوكها في هذا الصدد . وذلك عندما توسل إليها أن تنتظر عودته وقد أثار ذلك في نفسها السعادة والخوف في نفس الوقت ...

ومضى اليوم الأول بطيئا كالحا ، أما اليوم الثاني فقد ملاه الملل والسام وكانت الوحدة تسيطر عليها أكثر وأكثر في فترات تناول الطعام . ويرحيل "جون" لم تعد "جودي" تجد لذة في تناول أطباقها المفضلة ... حتى الشمس . خيل إليها أنها لم تعد دافئة حانية كما كان حالها من قبل .

ولم تستطع النوم في ليلة اليوم الثالث : راحت تتقلب في سريرها ذات اليمين وذات الشمال ، ولكن دون جدوى . فغادرت سريرها قرب منتصف الليل قررت أن تنزل إلى المطبخ لتناول كوب من اللبن .

كان "جون" يعيش في الجناح المقابل لجناحها ... وحملت "جودي" كوبها واضاءت الأنوار قبل أن تجلس مكانه وراء مكتبه الضخم وهي تبسّم : إنه المكان الذي يأخذ منه كل وقتها ... وخيل إليها أنه لم يقادره أبدا ..

دفع "جون" الباب الثقيل وبلغ إلى البهو وهو يقاوم رغبته في

- ٦٨ -

الذهاب إلى "جودي" في جناحها وأخذها بين ذراعيه . لقد عاد منها من رحلة أعماله وغير راض عن الاتفاقيات التي وقعها خلال السهرة ، ولرغبته في العودة السريعة إلى الجزيرة لم يعط نفسه فترة راحة واحدة ... إنه يشعر الآن بالتعب والإجهاد الشديد .

راح يتحسس وجهه وهو يتبسم : ليس من الضروري إيقاظ "جودي" الآن . إنه يحس بوجودها في كل مكان بالمنزل . وأخذ يتخيل سرورها في الغد حينما تعلم بعودته قبل الميعاد ... وعليه الآن أن يتحلى بالصبر ويعتني بنفسه بعض الشيء .

كان يتجه إلى غرفته ، وحقيبته الصغيرة في يده عندما رأى الضوء يتسرب من تحت باب مكتبه : إن "أفري" لا يعمل في مثل هذا الوقت المتأخر إلا في حالة ظهور مشكلة عويصة في اللحظة الأخيرة ... واقترب "جون" من مكتبه ودفع الباب وتجدد في مكانه ...

كانت "جودي" مستغرقة في النوم على كرسي مكتبه : صورة حية للبراءة والنقاء ... كانت تسند رأسها على حافة الكرسي وشعرها الطويل يتهدل على جبهتها وكفها ... فكر في أن يأخذها بين ذراعيه ويقبّلها . ولكن احترامه لها منعه من ذلك .

تحركت "جودي" في نفس اللحظة ثم حركت أطرافها وبدأت تفتح عينيها وأدركت أنها قد استسلمت للنوم فترة لا تترك مداها ثم رأت "جون" على بعد خطوات قليلة منها وخيل إليها أنها تحلم . وعندما أدركت أنه هو بالفعل ، بجسمه ولحمه وعظامه بجانبها أصيبت بالارتباك ونهضت وهي تصيح :

- "جون" ... أنا أسفة جد الأسف ... لا أعلم ما الذي دفعني إلى دخول مكتبك وأي صدمة أصابتك وأنت ثرائني هنا ... اعتذر لك مرة أخرى و ...

طمأنها بأن ابتسم لها .. ولكن "جودي" كانت تشعر بالذنب كطفل أخذ على غرة وهو يسرق قطعة من الحلوى .

وقال "جون" :

- إن هذا منزلك ... ألا تعرفين ذلك ؟

- ولكن متى عنت ؟

- ٦٩ -

- منذ عدة دقائق فقط .

وكبحت 'جودي' بصعوبة رغبتها في أن تلقى بنفسها بين ترابيه وتتوسل إليه ألا يتركها مرة أخرى بمفردها ...

وسالها وهو يقلب بعض الأوراق فوق مكتبه :

- هل حدث شيء أثناء غيابي .

- لا شيء مهم ... هل تشعر بالجوع ؟

كانت ترجو أن يرد عليها بالإيجاب لتبقى في صحبته بعض الوقت .

- لا تشغلي بالك بي ...

- على العكس ... ساعدك 'ساندويتش'

- بكل سرور .. ماكنت تصرين على ذلك ...

شعرت 'جودي' بالسعادة لأنها تقوم على خدمته ، وسبقته إلى المطبخ .

وجذب هو أحد المقاعد وتهاك عليه وهو يرقبها وهي تفتح الثلاجة الكهربائية استعدادا لتجهيز وجبته السريعة الخفيفة .

قالت 'جودي' وهي منهكة في عملها :

- كيف انتهت رحلة العمل هذه ؟

لقد تعود 'جون' على عدم الحديث عن أعماله إلا مع من يعينهم الأمر . وعلى الرغم من رغبته الشديدة في الحديث مع المرأة الشابة فقد ألزم نفسه بالكتمان واكتفى بقوله :

- كما كان متوقعا ...

وضعت 'جودي' شريحتين رقيقتين من اللحم وقطعة طماطم فوق عدة ورقات من الخس والخيار المخلل وقدمت الطبق لـ 'جون' وهي تجلس

قبالة وتقول :

- يبني عليك الإجهاد الشديد .

- أنا متعب بالفعل ... لم أجد الوقت للزوم ليلة البارحة .

- إن أعمالك لم تنته كما كنت تثنتي .. اليس كذلك ؟

وانحسرت رقة إحساسات المرأة الشابة وتساءل : هل من السهل هكذا

أن يقرأ الغير أفكاره ؟

- كنت أتوقع ذلك إلى حد ما ...

- ماذا حدث بالضبط ؟

وهز 'جون' كتفيه وهو يقول :

- لقد قدمت اقتراحا بالشراء للمسؤولين بشركة 'يوناييتد بتروليم' ،

ولم يكتفوا برفضه بل قدموا عرضا من جانبيهم ...

- رفضته أنت بدورك .

وهز 'جون' رأسه :

- ليس تماما ... على الأقل حتى الآن ...

- ولكنك تنوي ذلك .

- لا أزال مترددا ...

وراحت 'جودي' تراقبه : إنه مجهد جسديا ولكن نصف القتل الذي

صاحبه في رحلة العمل هذه كان يثقل عليه أكثر من حرمانه من الراحة

لقد شاهدت وهي طفلة أمها وهي تقوم بتدليك كتفي والدتها عندما

كان يعود مثوترا من عمله .

إن 'جودي' تأسف الآن لأنها لا تجرؤ على القيام بنفس العمل لـ 'جون' .

وسألته بهدوء :

- إن لك رغبة شديدة في إتمام هذا العقد ... اليس كذلك ؟

- إنها عملية شغلتنني سنة كاملة . إن عرضي لشركة 'يوناييتد

بتروليم' هو عرض مجز وعادل ... ولكن أمامي عقبة ...

- أية عقبة !

- إنهم يعلمون أن هذه الصفقة تهمني كثيرا ... إنني وأنا اتحدث

معك الآن أشعر بأنني كنت متسرعاً معهم بشأن إتمام هذه الصفقة ..

إن تسرع لروية 'جودي' زاد تعقيد الأمور . ونزع ورقة من 'بلوك

نوت' أمامه وهو يقول :

- دعيني أشرح لك الأمر ...

وحاول خلال ربع ساعة كاملة أن يشرح لها أهمية هذه الصفقة ،

ولكن كان من الصعب عليها تتبع تحليلاته الغامضة بالنسبة لها

واكتفت بأن ابتسمت له عندما انتهى من الشرح . وقال لها وقد عاد

إليه سروره :

- إنك على حق تماما ... لماذا لم أفكر في ذلك من قبل ؟
لم تفهم 'جودي' شيئا على الإطلاق مما يعنيه بهذا الكلام ولكن ماذا
يهمها من ذلك ؟

لقد عادت إليه الابتسامة . ونهض فجأة وراح يذرع أرض المطبخ
ذهابا وإيابا وهو غارق في أفكاره . وبعد لحظات وقف جامدا أمام
'جودي' وأحاط وجهها بكفيه بعد أن قبلها على وجنتيها برقة وحنان
وهو يقول :

- ألم يقل لك أحد إنك عظيمة ؟

- ولكن لماذا لقبني ؟ ..

- لأنك بكل تأكيد ..

والقى بنظرة على ساعته :

- الوقت متأخر ولكن لا بد من الاتصال في الحال بمستشاري
القانوني لناقش معه هذه الاستراتيجية الجديدة ..

- 'جون' إنها الواحدة بعد منتصف الليل ..

- يحق لي أن ألقى راحته في مثل هذه الساعة . مادمت أعطيه هذا
الأجر الخيالي

وغادر المطبخ سريعا قبل أن يتيح للمرأة الشابة الوقت لمزيد من
الاحتجاج . واتجه مباشرة إلى مكتبه . وتصفح الصفحات الأولى من
ملف شركة 'يوناييتد بتروليم' ، ثم رفع رأسه وقد أثارت اهتمامه فكرة
غريبة : لقد أخبر 'جودي' بكل تفاصيل هذه الصفقة دون استثناء
ودون تردد ... إنه بالتأكيد لا يخشى سوء استعمالها لهذه البيانات ...
إن ما يهشبه هو الثقة التي أولاها إياها دون أدنى تفكير ... إنه يفقد
استقلاله تدريجيا تجاهها ... وسوف يصبح عما قريب لا غنى له عنها
تماما كالهواء الذي يستنشقه .

وتخلل شعره بأصابعه وهو يحاول تحليل الموقف .

اتجهت 'جودي' إلى حظيرة الجياد عند الحجر لتقابل 'جون' هناك

حسب اتفاقهما في الليلة الماضية . وعند وصولها كان 'ميينايت'
'وبرنيسيس' على استعداد في انتظار حضورهما ... وقالت :

- صباح الخير يا 'سام' ...

أما 'جون' فكان نصيبه ابتسامة رقيقة ارتسمت على شفتي المرأة
الشابة وأجابها بهزة خفيفة من رأسه ...

وسألته 'جودي' عندما ابتعدا صوب الغابة :

- هل نمت جيدا ؟

- لم أذهب إلى سريري .

- أوه ! 'جون' ، لا بد وأنت منكم القوى تماما .

- لا ... لقد رحلت أفكر بعد انصرافك في مقترحات شركة 'يوناييتد

بتروليم' يجب تغيير بعض فقرات العقد . وقد شجعني 'بترمان'
مستشاري القانوني على ذلك .

- ما رايه بالضبط ؟

ولزم 'جون' الصمت برهة ثم قال :

- رايه أن فكرتي صائبة .. واعتقد أن الشركة ستحاول الاتصال بي
بعد ظهر اليوم ..

والقى نظرة على ساعته :

- يجب ألا أتأخر هنا صباح اليوم ، ومن المصلحة ألا أبتعد عن
المكتب إلى أن ينتهي هذا الموضوع .

- أرجو ألا تكون قد عقدت العزم على العمل طوال النهار ... إنك عائد
لتوك من رحلة شاقة مرهقة ...

ورد 'جون' وهو نائم الصبر :

- وماذا تريدني أن أفعل ؟

- أن تنام بكل تأكيد ...

- وإذا حاولوا الاتصال بي ؟

- لست أكفل 'أفري' بهم .

- ماذا تظنن نفسك .. مديرة البيت الأمرة ؟

وتقلصت أصابع 'جودي' على اللجام .

- يجب أن يهتم أحد بصحتك ما بدت تهملها بهذا الشكل .

- وتريدين أنت بالتأكيد القيام بهذا الدور .

وراح يلوم نفسه لأنه خاطبها بهذه اللهجة الجافة خاصة وأنها على حق .. فهو لم ينق طعم الراحة منذ ثمان وأربعين ساعة ، ولكنه يرفض أن تحدد له امرأة أسلوب حياته .

وبدلت 'جودي' أقصى الجهد لكي تكبح جماح غضبها . وراحا يتريضان بجوابيهما نصف ساعة دون أن ينطقا بكلمة واحدة . لم يبتهج 'جون' بهذه التهمة الخلوية ، واسف أشد الأسف لأنه حدثها بهذه اللهجة الجافة القاسية ... ألم يكن من الأفضل أن يحتويها بذراعيه ويقلبها ... وراح يبحث عن وسيلة للاعتذار دون أن يريق ماء وجهه ولكنه أخفق .

وعندما عادا إلى الحظيرة نزلت 'جودي' من فوق ظهر مهرتها والتفتت إليه قائلة :

- إذ لم تخفي الذاكرة فقد كنت منذ ساعات قليلة مضت تجد نصالحي عابلة وصائبة ... أنا لا أعلم ماذا حدث منذ ذلك الوقت ولكنني أصر على القول مرة أخرى : يجب أن تخلد إلى الراحة ... لماذا ؟

- سوف تقتل نفسك إذا أصررت على العمل ليل نهار بدون سبب ... بدون سبب ؟ يمكنني أن أنكر لك أكثر من مائة سبب إذا أردت ... تبلورت الدموع في عيني 'جودي' .

- وليس بينها سبب واحد يستحق سقوطك بين يرائن المرض ... لماذا تتدخلين فيما لا يعنك يا 'جودي' ؟

- لأنني أهتم بك .

- كما تهتمين بكل شيء آخر : الجياد ، والأطفال ، وحتى الذباب ... أنا لست في حاجة إلى من يدللني ... اتفهمين ؟

قالت وهي ترفع رأسها بكبرياء :

- لا ...

- لقد أصبح الجميع هنا في الجزيرة لا حديث لهم إلا عنك ... أنا لا أعرف رجلا أو امرأة إلا ويريد أن يحقق لك كل رغباتك ... أنا أرفض أن أكون مثلكم ... وأنا الذي يصدر الأوامر هنا ... مفهوم ؟

- وازداد اصفرار وجه 'جودي' وضوحا وامضها الحزن ، وحاولت أن تتكلم ولكن الكلمات ماتت قبل أن تصل إلى شفتيها ، وأرسلها المجهود الذي تبذله كي لا تتخبط في البكاء . وعلى الرغم من ذلك لم تستطع أن تدبر وجهها عنه وقالت له هاتمة :

- لن أزعجك بعد ذلك أبدا .

استدارت على عقيبها وأصرعت راکضة صوب المنزل ... وفي غرفتها ظلت فترة طويلة جالسة وهي جامدة كالتعذال على سريرها ، تحدق إلى لا شيء وتبلل الدموع الغزيرة وجنتيها ... إنها تحب 'جون' بجنون ولكن يجب أن تعيش في الواقع : إنها لن تنجح أبدا في غزو قلبه والاستئثار بحبه ... وإن اللهجة الجارحة التي حدثها بها لدليل قاطع على ذلك ...

وطلبت إحضار غدائها في غرفتها ، مادام 'جون' لا يجد الراحة في صحبتها فعليها ألا تفرض عليه هذه الصحبة . كانت قد اتخذت قرارها ... سوف تتفاداه حتى يأخذ هو المبادرة لإعادة المياه إلى مجاريها .

ومر يوم ... ومرت ليلة ... ومر اليوم التالي ... والليلة التالية طويلة لا تنتهي وجاء اليوم الثالث و'جودي' لا تعلم شيئا عن أخبار 'جون' وتملكها الحزن لدرجة أنها كانت تظن أن الشمس لن تشرق لها من جديد ... ستشرق صباح اليوم للجميع ولكن ليس لها ... وفصلت أن تغادر الغرفة . مسرح أزمات بكائها المستمر وتذهب إلى الشاطئ ... وأحست بحنين جارف إلى والدها وشقيقها للمرة الأولى منذ وصولها إلى الجزيرة ... وتبلورت في ذهنها فكرة الرحيل ولكن سرعان ما نبذتها ... لقد عقدت اتفاقا مع 'جون' : ستظل في الجزيرة طالما أمر هو بذلك ...

لم يعد 'جون' يتحمل عناد المرأة الشابة ... إنها تهرب منه منذ أربعة أيام كاملة ... ماذا تهدف من وراء صحتها العنيد ؟ ... إن الأمور لا

يمكن أن تستمر على هذا المنوال ، لقد تأثر جميع من في البيت من جراء هذا السلوك : لقد فاجأ الطاهي وهو يتشاجر مع 'أفري' ، وسأل مساعده :

- لماذا هذا الشجار ؟

وقال 'أفري' بصوت منخفض وهو يادي الحرج :

- إنه ... إنه قلق ...

- قلق ؟ وماذا يقلقه ؟ الخدم الآخرون ؟

- لا ... بل الأنسة 'لوفين' .

وقال 'جون' بوجه مكلم :

- 'جودي' ؟ لماذا ؟

- إنه يدعي أنها فكتت شهيتها للطعام ... وأنها تعيد الأطباق كما هي دون أن تلمسها ، وهو يخشى عليها من المرض ... أعلم أن هذا لا يعنيني يا سيدي ولكن ...

- لا تتدخل فيما لا يعنيك يا 'أفري' ...

وتصلب 'أفري' في وقفته واستطرد قائلا :

- أنا أعمل في خدمتك منذ سنوات طويلة يا سيدي ، واستطيع أنؤكد لك أن الأيام الثلاثة الأخيرة كانت من السي وأصعب الأيام التي مرت بي في حياتي . إنك متسلط إلى درجة كبيرة ، كما أنك فقط غليظ القلب ... فاقد الصبر ... كل ذلك دون سبب واضح ... أنا أسف يا سيدي ولكنني قررت أن أقدم لك استقالتي .

واستبقت الدهشة البالغة بـ 'جون' ، ولم يسترد هدوءه إلا بعد مرور عدة لحظات وأجاب :

- كما تريد ...

قدم 'أفري' خطاب استقالته لـ 'جون' قرب نهاية فترة ما بعد الظهر . وقرأ هذا الأخير طلب الاستقالة عدة مرات وكأنه يؤكد لنفسه أنه لا يحلم ، وتأكد في النهاية أنها الحقيقة ... ونهض في بطة وأخرج علبتين من الجعة من ثلاثة مكتبه الكهربائية الصغيرة وقرر زيارة 'سام' وخيل إليه عندما وصل إلى حظائر الجياد أن هذا الأخير يحده بنظرة سيوءاء ... فقال بصوت مرتفع .

- لا تقل لي أنت الآخر إنك تلق في صفها ...

وفكر بينه وبين نفسه : لابد أن 'جودي' قد أسرته بدوره كما أسرت جميع سكان الجزيرة . ولكن 'سام' هز كتفيه ، وأحضر مقعدين صغيرين أعطى أحدهما لخدمته وهو يجتسم بخبث ... وقال 'جون' وهو غابس الوجه :

- أه ! من النساء !

وراح يحتسي 'الجعة' من العلب التي في يده ، وقلده 'سام' ثم قال :

- عنده كل الحق فيما تقول ... لو كنت في مكانك لما ترددت برهة في إعادتها إلى أسرتها .

ونظر إليه 'جون' بحدة قائلا :

- زدني شرحا ... أنا لا أفهم ما تعنيه ...

- إنك لا تنوي إيقاعها في الجزيرة ؟

كانت هذه هي نية 'جون' بالفعل ... فعما قريب ستسمع 'جودي' صوت العقل وتبائر بطلب الصفح ...

- نعم ...

- إذن أرجو أن تتحلى بالشجاعة والصبر ... أنا لا أحتمل طويلا شخصا يتدخل في كل صغيرة وكبيرة ويطالبني بالهدايا .

إن 'جون' لم يعد يعلم شيئا ، قال وقد تملكته الحيرة :

- إنها لم تطالبني بشيء ...

ورشف 'سام' جرعة كبيرة من الجعة وقال :

- لو كنت في مكانك لوضعتها في أول سفينة تغادر الجزيرة صباح غد ... وأقلب هذه الصفحة من حياتي ... إنها لن تجلب لك سوى المتاعب .

ونطق 'جون' بعدة كلمات غير مفهومة بصوت منخفض وكأنه يحادث نفسه ثم وجه حديثه إلى 'سام' :

- ولكن من أين جئت بكل ما تقول ؟

- أرجو المعذرة ولكنني سمعتك وأنت تتشاجر معها ، وكنت على حق أنك تبهتها باتك الأمر الناهي هنا ...

وزاد تقلص ملامح وجه 'جون' وهو يسأل :

- وماذا قلت لها غير ذلك ؟

- اوه ! اشياء اخرى كثيرة .

- ماذا على سبيل المثال ؟

وكرر له 'سام' حرفيا كل الكلمات الجارحة التي وجهها للمرأة الشابة بعد عودته معها من نزهتهما بالجياذ ... لقد كان الإجهاد يتملك 'جون' بدرجة كبيرة جعلته لا يتذكر شيئا مما قاله له 'جودي' ... وعندما صمت 'سام' راح 'جون' يضغط بعنف على عتبة الجعة حتى حطمها ثم نهض واقفا وهو يتميز من الغيظ ضد نفسه .
وساله 'سام' وهو يتظاهر بالهمشية :

- إلى أين ؟

- ولم يجب 'جون' .

- هل قررت أخيرا التخلص منها ؟

- ولم يحاول هذه المرة أن يخفي ابتسامته ... لقد كان بارعا في إدارته لدفة الحديث ... وسوف ترضى 'جودي' عنه ...

mjerko

الفصل السابع

وجد 'جون' نفسه مرة أخرى في موقف لا يحسد عليه . فعليه أن يطلب الصفح من 'جودي' . وبدأ الشك يراوده للمرة الأولى بصدد طريقة تعامله معها ... إن علاقتهما تركزت على عملية ابتزاز كريمة ... أي جنون استبد به لإجبارها على الحضور وإبقائها سجيناً لديه في جزيرته ؟ ... إنه لم يعد كما كان من قبل منذ مجيء 'جودي' إلى 'سان ستيفن' : فهي ، رغم الأسباب الكثيرة التي تدفعها لكرهه ، كانت تعامله بصبر رطب وتبدو سعيدة ورقيقة ، وكانت عندما تنظر إليه بذوب حناناً وعظفاً .

ولكن ، لقد استمر هذا الوضع أكثر مما ينبغي ، يجب أن يعيد 'جودي' إلى أسرقتها بدون تأخير . وزادت ضربات قلبه إسراعاً عندما وصل تفكيره إلى هذه النقطة . كيف يحرم نفسه من ضحكاتها البريئة ؟ ، ومن تريضه معها على ظهور الجياذ بين أحضان هذه الطبيعة الخلابة ... ؟ كيف يحرم نفسه من حبها ؟ ...

وشعر بثقل لظيع يجثم على صدره : إنه لا يستطيع أن يحتمل

الانفصال عنها ... لقد أرسلتها له السماء لتثيقه طعم مشاعر جديدة
فلن انها ماتت في نفسه منذ وقت طويل ... إنه لا يستطيع الاستغناء
عنها ... هذه هي الحقيقة ..

استقبل 'سام' 'جون' مع تباشير الفجر الوليد قائلا :

- لقد رحلت ...

- من ؟

- 'برنيسيس' ...

وارتستت الدمشة على وجه 'جون' : إن أحدا في الجزيرة لا يجرؤ
على سرقتهما .

- هل ذهب أحد ليتأكد من أن ...

- قالت لي إحدى الخادعات إنها ليست في غرفتها وإن سريرها لم
يمس ...

ونقلصت عضلات وجه 'جون' وامطى 'ميدنايت' مثالا :

- في أي اتجاه تسير عادة ؟

- صوب الشمال وأحيانا صوب الغرب .

- حسن جدا ... سأتجه صوب الغرب أولا ...

وهز 'سام' رأسه ببطء قائلا :

- عد بها يا سيدي .. إن مكانها هنا ...

لم يسمع 'جون' هذه الكلمات الأخيرة . لقد ابتعد مصمعا أن يبحث
في كل شبر في الجزيرة للعثور على 'جودي' . ولدهشته الشديدة لم تدم
هذه العملية أكثر من دقائق معدودات ، فسرعان ما وقع بصره على
'جودي' و'برنيسيس' وهما يسيران جنبا إلى جنب على الرمل الذهبي
اللامع ، وراح قلب 'جون' يبق بشدة في صدره ورفع وجهه إلى السماء
شاكرا .

كان يقف على رتبة عالية لا تبعد كثيرا عن المكان الذي توجد فيه
'جودي' وأدرك منذ اللحظة الأولى مقدار الآلام التي تعانيتها المرأة

الشابة : كان رأسها يكاد يتدلى على صدرها ... وقد تقلص وجهها
وانحنى ظهرها كأنسان يحمل عبئا أكبر من طاقته ... وكان من غير
الضروري أن يرى وجهها عن قرب ليدرك أنها قد بكت طويلا ...
وأصاب هذا الاكتشاف 'جون' بصمة بالغة وأحس فجأة بعقدة الذنب
وبرغبته الجامحة في حمايتها .

كان 'جون' ، منذ قرر 'سام' على أنبيه ، كلمة بكلمة ما قاله من جمل
جارحة لها عند عودتهما من نزهتهما في الغابة ، يبحث عن الوسيلة
المناسبة للحصول على صفحتها دون أن يجرح كبرياءه ... إنه يعلم أن
من واجبه الاعتذار . وفكر أن يهبها هدية ثمينة ... تتحدث لها ثيابة
عنه ، حافظة له ماء وجهه ... وأصبح الآن لا تراوده غير رغبة واحدة :
أن يجثو على ركبتيه أمامها طالبا منها الصفح والغفران .

راحت 'جودي' تمسح الدموع عن عينيها وهي غاضبة على نفسها
لعدم قدرتها على التحكم في مشاعرها وأحاسيسها : ألم تكن تعلم منذ
البدائية أن حبها لـ'جون' لن يكون سهلا ؟ ولكن هذا لا يمنع من أن لها
كبرياءها مثله تماما ... وهي تفضل الموت كمدا وحزنا على أن تظهر له
أنه يحمل سعادتها على راحة يده .

وسمعت ضوضاء خفيفة فرفعت رأسها ، ورات 'جون' يراقبها غير
بعيد واجتماعها الاضطراب في الحال وهي تراه يتقدم صوبها على ظهر
جواده 'ميفنايت' ... إنها لا تريده أن يعرف بأنها كانت مستسلمة
لللبكاء ... لذلك نهضت بسرعة وامطت 'برنيسيس' التي أسرع في
عدوها مثيرة سحابة من الرمال ورامها ...

كانت الغابة هي أمل 'جودي' الوحيد في الهرب من 'جون' ، ولكنها
بنظرة واحدة إلى الخلف أدركت أن 'جون' قد اقترب من الشاطئ .
وقالت صائحة وهي تحت مبرتها على الإسراع في عدوها :

- بسرعة يا 'برنيسيس' ... بسرعة أكثر ...

لم تر 'جودي' الحيوان الذي كان يعبر الطريق أمامها ولكن

'برنيسيس' ارتفعت على قائمها الخلفيين في دعر . وسقطت 'جودي' على الأرض : إن آخر سقطة لها من فوق ظهر جواد ترجع إلى طفولتها المبكرة ... وكتمت صرخة دعر كادت تنطلق من فمها وهي تلامس بجسدها رمال الشاطئ ثم لم تعد ترى شيئا من حولها لقد نخلت مملكة الظلام اللانهائي

شاهد 'جون' المشهد وهو عاجز تماما عن القيام بأي شيء ، وتملكه الذعر والياس وراحت الأفكار المجنونة تجول في رأسه بسرعة كبيرة : إذا خرجت 'جودي' سالمة من هذا الحادث فسوف يبيع كل شركاته المنتشرة في جميع أرجاء العالم وإذا لم تكف هذه التضحية فسوف يقدم كل ما يملك : قلبه ، روحه ، وحياته لضمان سلامتها ...

عندما وصل إلى جسد 'جودي' الهامد نزل من على ظهر جواده وركع إلى جانبها وراح يتحسس نبضها بإصابعه المرتعشة وشعر بالارتياح ، وخلع سترته ووضعها برقة تحت رأس 'جودي' .

مرت لحظات فتحت المرأة الشابة بعدها عينيها ببطء فوجدت 'جون' جاثيا إلى جانبها ، وقالت هاسمة :

- 'برنيسيس' ...

مضت لحظات قبل أن يدرك 'جون' أنها تريد الاطمئنان على المهرة قبل أن تطمئن على نفسها ..

- إنها بخير ... وانت ؟

كانت لا تزال تحس بالدوار وقالت هاسمة :

- اعتقد أنني بخير ،

- هل أنت متأكدة ؟

- وحاولت الجلوس بصعوبة ولكنها مالت إلى جانبها وتشبثت يداها بذراع 'جون' . كانت تشعر بالهم شديد في ضلوعها ، وعندما أبعد خصلة من شعرها كانت تتهدل فوق عينيها أدركت أنه يرتعش أكثر منها .

وقالت محاولة إخمال الاطمئنة إلى قلبه :

- اعتقد أن كل شيء على ما يرام ... أنا لا أمري بالضبط ماذا حدث ؟

لقد اعترض طريق 'برنيسيس' فجأة حيوان ما ... ربما أرنب بري ،

التقت نظراتهما وظلا جامدين ، وفجأة وضع 'جون' شفتيه على شفتي 'جودي' برقة متناهية ، وأدركت هذه الأخيرة فجأة أن سقطتها كان يمكن أن تكون مميتة وأن إحساسها الجميل بين ذراعي 'جون' كان من الممكن أن تحرم منه إلى الأبد .

وظل كل منهما بين ذراعي صاحبه بعد انتهاء القيلة ومضت اللحظات ببطء ... لحظات جميلة لا تعوض ... وقال 'جون' أخيرا :

- يجب أن نذهب إلى الطبيب ...

- أؤكد لك أنني على ما يرام .

- إنك ترتجفين ...

وابتسمت : كيف تقول له إن قبلته هي المسؤولة عن ذلك وليس ما تحسه من الأم ؟ ...

وأرسل صغيرا من بين شفتيه ، وجاء 'ميدنايت' في الحال .

- ستمططين الجواد معي يا 'جودي' .

- ولكن ...

كانت تغطيها نظرة من 'جون' لتكف عن اعتراضاتها ... وعلى كل حال فإن ركوب جواد بمفردها الآن بعد سقطتها المؤلمة والالام التي تكابدها هو أمر فوق طاقتها .

- وإذا رفض 'ميدنايت' أن نمتطيه معا ؟

وقال 'جون' وهو يبتسم :

- ألا تدعين أنك صديقتك الحميمة ؟

وراحت على غير الاقتناع تنظر إلى يد 'جون' الممدودة لها ولكنها ما كانت ترفع ذراعها حتى انفلتت منها صرخة ألم ... لم تستطع الوقوف ، وخرت ثانية على ركبتيها .

صاح 'جون' وهو يجثو إلى جانبها :

- أنت تتألين ... لماذا لا تقولين شيئا ؟

وراحت تنظر إلى وجه 'جون' ، وقد امتلأت عيناها بالدموع ، وهمست قائلة :

- أرجو المعذرة .

وخيل لـ 'جودي' أن رحلة العودة قد دامت ساعات طويلة . لقد

توسلت إلى "جون" أن يتركها حيث هي ويعود ليحملها فوق نقالة ...
إن حالتها ليست بالخطرة جدا ويمكن أن تنظّل بمفردها نصف الساعة
أو أكثر . رفض "جون" بإصرار وكان عليها أن تعود وهي قابضة على
ظهر "ميدنايت" وقد احتواها "جون" بساعديه وكان هذا الأخير يوقف
الجواد كلما وصلت إلى سمعه أمة ألم من فم "جودي" المتقلص ...
وعندما وصلا إلى مشارف الفيلا أخيرا كانت قاب قوسين أو أدنى من
الإغماء .

هرول "سام" وعدد من الخدم لاستقبالهما .

وصاح "جون" :

- احضروا الطبيب في الحال .

ورفعت "جودي" رأسها إلى أعلى رغم الآلام الشديدة التي تشعر بها
وقالت بصوت متعب :

- لقد وعدت أنك لن تصيح أبدا ..

- هل قلت أنا شيئا من هذا ؟

وهزت رأسها وهي تحاول الإبتسام :

- لا ... كنت أحلم من غير شك .

ووضع "جون" يده خلف رقبتها وراح يتفرسها بإمعان شديد وهو
يهمس في أذنها :

- إذا كان هذا يمنع عنك الألم ، فاعيك أنني لن أرفع صوتي أبدا بعد
الآن .

وخفت حدة الألم بعد سماعها هذه الكلمات الرقيقة وظل "جون" يلقي
بأوامره ولكن بهدوء وبصوت منخفض ، وراح قلب "جودي" يسرع في
نبضاته :

إنها تعلم أن "جون" يمكن أن يضحي بكل شيء لتخفيف حدة
أوجاعها وآلامها .

لقد بدأت تحس بالبهجة بعد الأيام الأربعة الأخيرة التي سادت بها
الحرب الباردة ..

وساعدها على النزول إلى الأرض قبل أن يحملها إلى داخل "الفيلا" ،
واخذت تحتج عندما بدا يصعد بها السلم ولكن "جون" رفض سماع أي

شيء .

- إنني ثقيلة الوزن و ...

- لا تتكلمي ..

- لا تصر على موقفك يا "جون" وإلا فإنك لن تكون خيرا مني ..

- أنا أتحمل المخاطرة ...

ما فائدة النقاش الآن ؟ لقد بلغنا منتصف الطريق الموصل إلى
جناحها ... وما كاد "جون" يبلغ باب الجناح حتى ركله بقدمه بشدة
ودخل الغرفة ثم وضعها برفق على السرير .

وما كادت تستلقي على ظهرها حتى داهمتها الآلام المبرحة . وبجهد
كبير حاولت أن ترفع جسدها إلى أعلى وراى "جون" انقباض عضلات
وجهها وسألها :

- أنت تشعرين بالألم الشديد ... اليس كذلك ؟

وأسلت أهدابها قائلة :

- هل يمكن أن تتركني عدة لحظات ؟

ولدهشتها لم يعترض "جون" ، ولكن ما كانت لتنقضي دقيقتان حتى
دخلت خادمتان الغرفة يتبعهما "ويلسون" ، الحارس الذي استقبل
"جودي" صبيحة يوم وصولها إلى الجزيرة ، ووجهت ابتسامة واهنة
وهي تهمس :

- لقد سبق وأن تقابلنا ، اليس كذلك ؟

- نعم .. لقد طلب مني السيد "ماكفارلاند" الصعود لرؤيتك قبل
وصول الطبيب . فانا أحمل دبلوما في التمريض والإغاثة .

عندما عاد "ويلسون" إلى الطابق السفلي جذبته "جون" من ذراعها
وسأله في قلق :

- مم تعاني في رأيك ؟

- في رأيي أنه قد كسر لها ضلع أو ضلعان .

- لابد أنها تتألم بشدة ...

- إنها تزعم أنها لا تتالم ... ولكن العكس هو الصحيح -
وأمره بقوله :

- أرجو أن تعطيتها مسكنا ..

- من الأفضل أن تنتظر حضور الطبيب ... إلا تعتقد ذلك ؟

- قد لا يحضر قبل ساعات ، ويجب أن تخفف عنها الآلام الآن ..
أعطها المسكن ..

وهز "ويلسون" رأسه :

- حالا ... ما دمت تصر على ذلك ..

واختفى برهة ثم عاد يرتقي درجات السلم مسرعا ويدخل غرفة
"جودي" وأمر الخادمة بإحضار كوب ماء وطلب من المريضة تناول
النساء ... وما كانت تمضي دقائق حتى استسلمت "جودي" للنوم
العميق .

وعندما استيقظت وجدت "جون" جالسا بجانبها وهو يحدق إلى لا
شيء وهمست بصوت ضعيف :

- "جون" ... ؟

وهب واقفا فجأة واستدار نحوها وهو يقول بحنان شديد :

- نعم ... يا حبي ...

راحت تليل شفتيها بلسانها ، كانت الصفرة تصبغ وجهها وكانت
تشعر بثقل في رأسها بسبب الحبوب التي ابتلعته ، ولكن حدة الألم
لم تخف ...

- يجب إقامة مركز طبي في الجزيرة ... فماذا يمكن أن يحدث إذا
فرض وجرح أحد الأطفال .

- اهبطي يا عزيزتي ... سوف لا يتأخر الطبيب عن الحضور .

وهزت رأسها قائلة :

- أشعر بالعطش الشديد .

ورقع رأسها براحة يده وقرب كوب ماء من شفتيها ، وعندما انتهت
من شربه طبع على جبهتها قبلة حانية .

- "جون" ؟

كان صوت "جودي" يقترب من الهمس وكان يبدو أنها تجاهد لتبقى

عينها مفتوحة .

- نعم يا حبيبتي ...

- أنا أسفة لأنني سببت لك كل هذا الإزعاج .

أحزنته هذه الكلمات وقال مسرعا :

- إنك لا تسببين لي أي إزعاج .

- ولكنك قلت ...

وأخذ يديها بين يديه وقبلهما ثم قال مقاطعا :

- كنت مخطئا .

ولم يترك "جودي" حتى حضر الطبيب والممرضة حيث اضطر إلى
مغادرة الغرفة انتظارا لنهاية الكشف .. وخيل إليه أنه استغرق وقتا
طويلا ... ساعات بأكملها ... وجاء الطبيب أخيرا ، وسأله "جون" في
لهفة :

- كيف حالها يا دكتور ؟

- لقد أصيب ضلعان ، كما أنها تشكو بعض الرضوض والأورام ..

- هل يجب إدخالها المستشفى ؟

- لا أرى داعيا لذلك .. إنها في حاجة إلى الراحة قبل كل شيء ...

وأنا أظن أنها هي نفسها لن ترغب في الحركة .. دعوها تنم فهذا خير
علاج لها ...

- كم من الوقت ؟

- يومان على الأقل ، ثم تبدأ في ممارسة نشاطها تدريجيا .

- والألم يا دكتور ؟ أنا لا أقوى على احتمال الألم .

- لقد تركت تنكرة الدواء والتعليمات المحددة للممرضة الأنسة
"راينبولت" . إن الأنسة "لوفين" مستغرقة الآن في النوم .

- شكرا يا دكتور ...

وطلب من "ويلسون" توصيل الطبيب إلى الميناء وأمضى بضع
لحظات أخرى مع "جودي" ثم نزل إلى الطابق السفلي ، وقابل الطاهي

في البرهة وقد بدا عليه القلق . وسأل "جون" :

- كيف حال الأنسة "لوفين" يا سيدي ؟

بالأمس فقط كان "جون" سيذهره ويطلب منه عدم التدخل فيما لا

يعني ، اما اليوم فقد تغيرت الأوضاع . وعليه ان يحترم التعهدات التي قطعها على نفسه . ولهذا راح بشرح للطاهي حالة 'جودي' بالتفصيل ..

وعندما مر امام مكتب 'افري' هب هذا الأخير واقفا . وقيل ان يطلب منه مساعده ابة بيانات عن حالة 'جودي' احاطه علما برأي الطبيب واضاف :

- يجب ان تبقى في السرير يومين على الأقل ... وستعود إلى حالتها الطبيعية بعد شهرين ... هذا على الأقل هو ما يقوله الطبيب .. وهـ 'افري' رأسه :

- وانت ؟

- أنا ؟

- لدي انطباع بان الأمور لن تسير ابدا سيرها الطبيعي بالنسبة لك ...

واصفر وجه 'جون' وحدهج مساعده بنظرة كطلقة الرصاص قبل ان يعود إلى مكتبه .. على الرغم من كل شيء فإن 'افري' على حق . لقد هزه حادثة 'جودي' حتى الأعماق وتغير وجوده كله باحلتكاه بالمرأة الشابة . وترك نفسه يهوي بين احضان كرسي مكتبه الوثير وأخلى وجهه بين راحتيه وقيل جامدا في مجلسه هذا وقتا طويلا ...

وانقضت بقية يوم العمل دون أحداث تذكر على خلاف العادة : أملى رسائله ، وبعض التقارير ولكنه كان شارد ذهن مشتبك التفكير ...

لم يتناول طعامه طوال اليوم وعندما حل الليل أدرك أن الأرق سوف يلزمه طوال الليل ... لقد قاوم طوال النهار إغراء زيارة 'جودي' ولكنه لن يستطيع مقاومة هذا الإغراء الآن ...

فلتحت له الممرضة الباب بهدوء وهي تقول :

- إن الأنسة 'كوفين' نائمة يا سيدي .

- انهي أنت لتستريح بعض الشيء وسوف أقوم أنا بالسهو عليها .

وغادرت الممرضة الغرفة وهي تجتسم له ابتسامة تدل على اعترافها بالجميل . واقترب 'جون' من السرير : كان وجهها لا يعكس آثار الألم .

وتنهذ بارتياح .. إن رؤيتها وهي تتعذب أمر لا يستطيع أن يتحملة . وفجأة فتحت 'جودي' عينيها وكأنها أحست بوجوده إلى جانبها وهمست وهي تتنهذ :

- 'جون' ..

وقرب كرسيه من السرير :

- أنا هنا يا عزيزتي .

وراحت تنظر بعينيها المتعبتين إلى 'المنبه' الموضوع على الطاولة القريبة .. كانت العقارب تشير إلى منتصف الليل ، وتساءلت :

- هل نحن في منتصف الليل حقا أم أن الساعة الثانية عشرة ظهرا وقالت بصوتها المتعب :

- هل أنت هنا منذ زمن طويل ؟

- أنا ؟ لا .. لقد حضرت لتوي ، ولكن الممرضة لم تترك لحظة واحدة ممرضة ؟

وتظاهرت بالضحك ولكن سرعان ما تقلص وجهها وهي تقول :

- ساعدني حتى أستطيع الجلوس .

- لا ..

- 'جون' ... من فضلك ... يجب أن اتحدث إليك .

- لا .. كل ما هو مطلوب منك هو أن تستريح ولا شيء أكثر من ذلك.

- إنني لست مشرفة على الموت .

اطاعها 'جون' حتى لا يكرها ، وعندما اعتادت في جلستها شاهدت صندوقا صغيرا عند قوائم المنضدة القريبة من السرير ..

قال 'جون' :

- هدية !

- ممن ؟

- مني أنا ..

وفي اللحظة التالية وضع على ركبتي 'جودي' الشيء الغامض ملفوفا في قطعة قماش سميك .

- إنه لك .. افلحي العلية .

كان الشيء الغامض ثقيلًا جدًا . ونزعت عنه 'جودي' قطعة القماش التي تغلفه وعرفت أنه تمثال من البرونز ، وتقابلت عيناها بعيني 'جون' .

- جون .. هذا ما افكر فيه بالفعل ..

وهز كتفيه متظاهرا بعدم الفهم وقال :

- لا اعرف عن اي شيء تتكلمين .

وامتلأت عيناها بالدموع وراحت تضغط باسنانها على شفتها السفلى وقد غمرها فيض من المشاعر متعها من الكلام .

وراحت تجفف دموعها واستطاعت أخيرا أن تقول :

- إنه تمثال 'بيوردان' الذي اهدته امي لوالدي ... لقد اضطر ابي

إلى بيعه من فترة ليست بالبعيدة .

وراحت أصابعها تتحسس التمثال بحب حقيقي ثم التفتت صوب

'جون' بنفس الحب وقالت له بصوت يملؤه الإعجاب والحنان :

- اقترُب ... أريد أن اشرك ...

الفصل الثامن

كان 'جون' يلتمس الأعذار لزيارة 'جودي' في غرفتها أكثر من عشر مرات في اليوم : يعرف أخبارها من الممرضة ، ويحضر لها طعام الفطور ، ويتأكد أنها ليست في حاجة إلى شيء ... وكان عندما يحل المساء ينوب عن الأنسة 'راينهولت' في مهامها الصعبة ... وثأبرا ما كان يأتي فارغ اليدين : إن حالة 'جودي' كانت الزريعة المثالية لإغراقها بالهدايا ...

قالت له هامسة في يوم نقابتها الثالث :

- متى ستخلصني من الممرضة ؟

وأشارت بنقنها إلى المرأة المرتدية الزي الأبيض التي كانت تزاوّل

أعمال 'التريكو' في ركن بعيد من الغرفة .

- لماذا ؟

- لأنني لا أقوم بأية حركة إلا وتقيس لي النبض والحرارة ، ولما

سببت لها عدم رضائي تظاهرت بالإمتعاض . ثم عادت نفس السلوك

من جديد ..

وتظاهرت "جودي" بالغضب حتى رأت ابتسامة عريضة ترسم على شفتي "جون".

- لا أرى فيما أقول ما يدعو إلى السخرية .

وتظاهر "جون" بالجبن وقال :

- أرجو العذرة ...

كانت تغضب بحق ، ولكن كيف يمكنها أن تلوم "جون" لفرضه هذه الممرضة عليها ؟ إنه يريد أن يفعل أي شيء ليخفف عنها الامها ويجعلها تغفر له خشونته وعدم اهتمامه بها في الماضي . واستطربت تقول :

- لقد مللت الرقاد في السرير طوال اليوم .

ابتسم "جون" حتى يتفادى مضايقتها وهز رأسه صامتا .

وعاودت هي الحديث :

- إن الأسلوب الذي يعاملني به الجميع يجعلني أعتقد أنني أول إنسان كسرت بعض أضلاعه ... أؤكد لك أن هذا أمر شائع . - أعلم ذلك .

- لا .. وإلا تركتني أنهض وأغادر السرير .

- أنا لا أمانع من ذلك ..

- خمس دقائق كل ساعة ... انظر ، لقد بدأت أفقد اللون الأسمر الذي اكتسبته من أشعة الشمس هنا في الجزيرة .

وأحسنت أنه سوف ينتجر ضاحكا ومنعت نفسها من أن توجه إليه بعض الكلمات الخشنة ... ولكن ما المضحك في موقفها الراهن ؟

- حسن جدا ... سأطلب من الأنسة "راينهولت" أن تدعك لترخين السرير فترات أطول .

- أريد أن أعرض جسمي للشمس .

- ربما غدا .

- اهذا وعد ؟

هز رأسه وهو يواجه نظراتها بعطف وحنان .

- يجب أن نعدني بشيء آخر يا "جون" .. ألا تحضر لي المزيد من الهدايا ... انتظر فيما حولك ...

وأشارت إلى زجاجات العطر وباقات الأزهار وعلب الجواهر والحلوى التي تراكمت على الطاولة القريبة من السرير .

- أنا أحب أن أقدم لك هذه الأشياء .

إن "جون" يعتبر نفسه مسؤولا عن الحادث الذي وقع لها وأرغمها على ملازمة الفراش ... ويجب عليها الآن أن تثقته بانها لا تلومه على شيء مما حدث .

- يجب ألا تحس بانك مسؤول عن الحادث يا "جون" .

ورأت من تعبيرات وجهه أنها كانت صائبة في تفكيرها .

- اليس الذنب نذبي في وجودك في السرير الآن ؟

قالت وهي تتحسس خده بأصابعها .

- لا بالتأكيد .. فأنا التي حاولت الهروب بغياء .

كانت تريد أن تسترسل قائلة : إن كسر ضلوعها هو لمن بخس للسعادة التي تحس بها الآن .

وفجأة تركت الأنسة "راينهولت" "التركوا" جانبا وألقت نظرة على ساعتها وقالت :

- حان وقت قياس درجة حرارة الأنسة "لوفين" .

وقال "جون" وهو يقبل "جودي" برقة :

- حسن سائركما الآن .

وفتحت "جودي" فمها باستسلام لاستقبال "الترمومتر" . بعد رحيل "جون" ثم أغلقت عينيها لتستعيد تنسيق اللحظات السعيدة التي أمضتها في صحبته . حقيقة إنه يأتي كثيرا لزيارتها ، ولكن زيارته هذه لا تدوم أكثر من دقائق معبودات .

وقبل الظهر بقليل جاء "أفري أندرسون" لزيارتها : كان سلوكه المتحفظ وخجله الشديد وانتقاؤه لكلماته ... كان كل ذلك يسليها وبسري عنها ولكنها نجحت في إخفاء ابتسامتها وقاومت رغبتها في الضحك ... وتركتها بعد نصف الساعة وهو يبتسم .

وبعد خمس عشرة دقيقة تقريبا عاد "جون" إلى الظهور من جديد وقد بدت عليه الدهشة :

- ماذا قلت لـ "أفري" ؟

- متى ؟

- الم يات لزيارتك منذ لحظات ؟

وهزت 'جودي' رأسها قائلة :

- نعم ، ليطمئن علي ... أرجو ألا يكون ذلك قد أغضبك ... هل ترك

بعض الأعمال معلقة ؟

- لا ... لقد أنهى عمل اليوم .

- لماذا إذن هذا الاهتمام ؟

وابتسم 'جون' وهو يقول :

- لقد قرر البقاء .

- 'اقري' ... لم أكن أعلم أنه سيرحل ... على كل حال أنا مسرورة

لسرورك .

وسألها 'جون' :

- أوالله أنت أنك لم تقولي له شيئا خاصا ؟

- لقد تحدثنا عن الجو والأسهم والسندات وعنه أنت ، وقد بدا لي

باردا متحفنا ...

- هذه هي طبيعته .

- هكذا نرى أننا لم نتحدث في شيء خاص كما نقول .

جلس 'جون' على حافة السرير ليضع يده على جبين 'جودي' وهو

يقول :

- أنا لا أفهم ماذا حدث بالضبط ولكنني مدين لك بالجميل مرة

أخرى .

كان يبدو أنه يريد أن يقبلها ، فلقد أخذ ينظر طويلا إلى شفيتها ،

ولكنه نهض فجأة وغادر المكان ... إنه منذ ملازمتها الفراش يكتفي

بتقبلها على جبهتها وخديها ...

وغلبها التعب فاستسلمت لأحضان النوم ، استيقظت بعد ساعة

على صوت ضربات خفيفة منتظمة تأتي من بعيد . وقالت تسأل

الممرضة :

- ما هذه الضوضاء ؟

- هل تزعجك ؟ ... لقد طلب مني السيد 'ماكفارلاند' أن أخبره إذا

كانت هذه الأعمال تقلق راحتك ...

- أي أعمال ؟

- لقد أمر السيد 'ماكفارلاند' بإنشاء عيادة طبية ... كنت اعتقد أنك

على علم بذلك ... وطلب مني أن أعمل فيها وقد قبلت عرضه بالفعل .

- عيادة طبية ؟

- نعم ... وقد عرض على أحد الأطباء الحضور إلى هنا مرتين في

الأسبوع للاستشارة وعلاج المرضى ...

وشعرت 'جودي' بالدموع تسيل من عينيها ، وفجأة ازاحت عنها

الغطية وغابت السرير متناسية ما تشعر به من الأم وراحت ترتدي

الروب استعدادا للخروج .

وقالت الأنسة 'راينهولت' في دهشة :

- إلى أين ستذهبين ؟

وحاولت 'جودي' أن تجيبها ولكنها لم تستطع ... لقد آتت الكلمات

أن تخرج من فمها ، فهزت رأسها وأسهرت بمغادرة الغرفة ...

وصاحت بها الممرضة وهي تسرع خلفها :

- أنسة 'لوفين' ... أنسة 'لوفين' .

ولحقت بها في الردهة .

- أنسة 'لوفين' ... أمرك أن تعودني إلى غرفتك في الحال ... سوف

يغضب السيد 'ماكفارلاند' إذا علم أنك غادرت سريرا .

وتجاهلت المرأة الشاببة اعتراضات الممرضة وواصلت سيرها ...

وغادرتها الآلام ، ولكنها ضغطت بذراعها على جبينها واستمرت في

التقدم بخطوات بطيئة . وجاءها صوت الأنسة 'راينهولت' من خلفها :

- عودي فورا إلى سريرك .

- لا ...

- حسن ... أنت لا تتركين لي حرية الاختيار ... سوف أخطر السيد

'ماكفارلاند' بما يحدث .

ولقدت دون أن تنتظر أي رد إلى الغرفة الملحقة بمكتب هذا الأخير .

ووجدتها 'جودي' بعد عدة لحظات مع 'القي' الذي كان يتحسس

جبهته ويصلح من وضع رباط عقه ... وراحت تدق باب المكتب دون أن

تهتم بهما ولما راها 'جون' هب واقفا وهو يقول :

- 'جودي' ... ماذا تفعلين هنا ؟ ... اتريدين ان تقتلي نفسك ؟

ولما شاهد الدموع في عينيها ، غير من لهجته في الحال وانفجع صوبها قائلاً :

- ماذا حدث يا عزيزتي ؟ ..

التصقت به وحاولت ان توضح له الامور ، ولكن صوتها خانها فاخذت وجهه بين راحتيها وراحت ثقبه على خديه وجبهته وطرف انقه .

وهمس في انفها :

- 'جودي' ... ماذا حدث ؟ ..

وراح يجفف الدموع التي لا تزال تسيل على خديها . وقالت بصوت فيه بحة :

- قيل لي انك تلوم ببناء عيادة طبية في الجزيرة .

- هذا صحيح .

وتحسست خده باصابعها وهي تقول :

- شكرا لك .

وتملكك 'جون' الدهشة : لقد غمرها بالهدايا منذ ثلاثة ايام ولكن ايا منها لم يثر فيها هذه الاحاسيس الجياشة بالشكر والامتنان ... حتى ولا تعال 'تيوردان' .

وسمعا طرقا على الباب : إنها الممرضة .

- ارجو المعذرة يا سيدي ، قانا لم استطع منعها ، لقد حاولت ان اسمعها صوت العقل ولكن ..

وقالت 'جودي' وهي تبسم ابتسامة عريضة :

- ولكنني نجحت في الفرار منها .

واستطردت الانسة 'راينهولت' قائلة :

- يجب ان تعود فوراً إلى سريرها .

واحتجت 'جودي' قائلة :

- اوه ! ... لا ...

ونفض 'جون' وامسك 'جودي' من معصمها بحزم قائلاً :

- نعم ...

واركت المرأة الشاب ان عليها الا تصر على موقفها .

سال 'جون' للمرة الخامسة وفي خلال خمس عشرة دقيقة .

- هل انت متأكدة من انك تستطيعين الركوب ؟ ..

ان مجرد تخيلها وهي على ظهر الجواد كان يدخل على قلبه الرعب . واجابته 'جودي' ضاحكة :

- إذا القيت علي هذا السؤال مرة أخرى فساصرخ مستغيثة ! .

وعندما رأى عيوسها تأكد انها سوف تنفذ وعيدها بالفعل إذا نطق بكلمة واحدة في هذا الموضوع . واستطردت قائلة :

- لقد مضى على سقطتي ثلاثة اسابيع كاملة ويخيل إلي حينما اسمعكم تتحدثون عن ذلك انني امر الآن بفترة نقاهة بعد إجراء عملية خطيرة ...

- يجب ان تعلمي ان التريض على ظهور الجياد امر ...

- امر لا خطورة فيه ... لقد افرجت عني الانسة 'راينهولت' واريد ان اتمتع بهذه الحرية ... ارجوك لا تحرميني من ذلك ...

وقاد 'سام' - وهو يخفي ابتسامته - 'ميدنايت' و'برنيسيس' إلى حيث يقف الفارسان ، وساعدها 'جون' على امطاء ظهر المهرة . واحست ببعض الألم من جراء هذا الجهد ولكنها سارعت بإخفائه بل صاحت قائلة في انتصار :

- اترى يا 'جون' ... انا على اتم الاستعداد لبدء الجولة .

كان 'جون' يعلم انها تكابر ولكنها امتنع عن التعليق : لقد تعلم ، إلى جانب 'جودي' ، قيمة الدبلوماسية ...

قالت وهي تنظر إليه من خلف كتفها وقد بدأت تسير صوب الشاطئ :

- هيا بنا .. ماذا تنتظر ؟

وصاح بها 'جون' :

- 'جودي' ، لا تسرعي هكذا ..

حملت الرياح صدى ضحكاتها إلى مسامعه وبدأ يزول عنه التوتر على الرغم من مخاوفه ..

إنه لم يعد يعرف نفسه خلال الأسابيع الماضية . لقد أصبحت حياته مع 'جودي' سلسلة من الاكتشافات المثيرة ... ليست اكتشافات خاصة به نفسه بل اكتشافات خاصة بالناس وبالكون . فقد راح ينظر إلى كل شيء بعيني 'جودي' ، وكانت براعة المرأة الشابة تثير في نفسه الرغبات المجنونة ، وضحكاتها تلغعه إلى احتضان العالم كله بين ذراعيه ، وكانت عندما تنال يخيّل إليه أن الأرض تكن لانيته ..

في كل مرة يسمح له عمله بقليل من وقت الفراغ يهرول لرؤيتها ، وراح يتنازل عن بعض اختصاصاته لـ 'آفري اندرسون' ، الذي أصبح يوليه ثقته الكاملة.

وعندما كان 'جون' يتصفح الصحف التجارية في المساء في مكتبه ، كانت 'جودي' تحترم تركيزه في عمله وهي تجلس في أقصى الغرفة وفي يدها كتاب تقرأه .

لقد تغير 'جون' كثيرا ، فقبل أن تدخل 'جودي' في حياته لم يكن يحاول أن يتمتع بأي وقت فراغ .. في فترة بعد الظهر ... أما اليوم ، فقد أصبح في حكم العادة تقريبا ، أن يترك مكتبه لفترات طويلة . قد تصل إلى يوم كامل ، بقضيها في صحبة 'جودي' ... لقد أصبحت نور حياته ومحور وجوده كله أصبح لا يحتمل وجوده بدونها ، فهو لم يعد يعيش إلا ليسمع ضحكاتها وغناها ورؤيتها وهي تبتسم : إن روحا خيرة من غير شك هي التي ولدت في رأسه فكرة حجزها في الجزيرة ليتغير هو إلى الأفضل ... إنه لا يجد تفسيراً آخر لهذه الفكرة المجنونة ...

قالت 'جودي' فجأة وهي تشعر بلذة الحياة :

- كانت تنقصني هذه الزمعات .. وبهذه المناسبة ، ألم اطلب منك أن

تكف عن إغراقي بالهدايا ؟

وقال متظاهرا بالبراعة :

- أه ! لا أنكر .

- انتظن أنني لم احظ سلوك 'سام' الغامض ... لقد اشتريت جوادا . ليس كذلك ؟

هز 'جون' رأسه وهو يحاول بصعوبة أن يكتم ضحكاته وقال :

- مَهْرة جميلة ... سوف تحبينها كثيرا ...

- ولكن يا 'جون' ، كم مرة يجب أن أقول لك إنني لا أريد هدايا بعد ذلك ؟

كانت تريد أن تصبح فيه : كل ما اطلبه هو أن تحبني ... أن تتزوجني وتملا حياتي بالاطفال والبهجة والسعادة ... ولكنها قالت بدلا من ذلك :

- انظر هناك ... إن الأطفال يلعبون مع الأمواج ...

- لقد مضى عليهم أكثر من أسبوعين دون أن يروك ... ومن الأفضل أن انتظرك أنا هنا ..

- ولكن لماذا ؟

- لأنني أخيفهم .

وفكرت هي بينها وبين نفسها : لقد حان الوقت لأن يتعرف الأطفال على 'جون' .

وقالت له امرأة :

- هيا بنا ...

وتردد لحظة قبل أن يقبض على يدها الممدودة له ، ولكنه كان يشعر بشيء من الخوف .

وراحت تنابيهن بأسمائهم :

- 'فيليب' ! ... 'إليزابيث' !

وما كانوا يسمعون صوتها حتى خرجوا من الماء والتفوا حولها :

- 'جودي' ..

وجلست المرأة الشابة على ركبتيها حتى تستطيع معانقة الأطفال

الواحد تلو الآخر .. وقال أحدهم :

- لقد نبئت أسنان 'باولو' .

وصاح آخر :

- علمنا أنك كنت تموتين .

وأجابت 'جودي' وهي تضحك :

- لقد حدثت لي حادثة خفيفة .. والآن هناك من أريد أن أقدمه

لكم.....

ونهضت واقفة وهي تلف ذراعها حول خصر 'جون' :

- السيد 'ماكفارلاند' صاحب الجزيرة ..

تجمع الأطفال في أماكنهم .. ثم انحنى 'إليزابيث' محببة ، وتبعها

'مرجريت' ، وحنى بقية الأطفال رؤوسهم وهم يعقدون أزرعهم فوق

صدورهم

وانحنى 'جون' محببا بدوره وهو يقول :

- أنا سعيد بمعرفتكم ..

- هل أنت الذي أعدت بناء المدرسة ؟ ..

- لقد أعطتني الممرضة حقنة ولم أبك ..

- لقد قال الطبيب لابي إنني يجب أن أتناول الكثير من الخضراوات

ولكنني لا أحب ذلك ..

وأثار حديث الأطفال التلقائي دهشة 'جون' . ولكنه سرعان ما تمالك

نفسه . وتم التعارف على خير وجه .

وظهر 'جيمي' فجأة وهو يجري مسرعا ، اتيا من اتجاه الغابة .

وقال لامنا :

- 'جودي' ... 'جودي' هل رأيت طائري ؟

وراحت المرأة الشابة تتأمل البيغاء الأزرق طويلا ..

- لقد اصطدته بنفسى ... كان حبس الأغصان المتشابكة ... إنه

يقضي طيلة فترة الصباح .

قالت له 'مرجريت' وهي تضع يدها في يد 'جودي' :

- يجب أن تهيه حريته ... فكيف يمكن أن يكون سعيدا في قفص ؟

واحتج 'جيمي' قائلا :

- ولكنه يقني ، وأنا أزوده دائما بالطعام ... وهو يتركني اتحسس

ريشه .

ولكن 'مرجريت' عاوت الحديث مؤكدة :

- هذا حسن ... ولكن كيف تعرف أنه سعيد ؟

- لأنني أعرف ذلك ..

- وغدا ؟

- سيكون نفس الشيء ..

أحست 'جودي' بالاضطراب : إنها سجين الجزيرة ، تماما مثل هذا

الطائر الأزرق الجميل وهو في قفصه . وزاد نالها حدة : لقد أرغما

'جون' على التخلي عن كل شيء تحبه : أسرته ، ومهنتها .

و'نيويورك' ... ولكي تنسى مصيرها المؤلم ، أغرقها بهداياه ، وراح

يلطفها ويداعبها ويحتضنها بين ذراعيه ...

ولكن ... ألا تعيش ، رغم ذلك كله ، داخل قفص ؟

وقالت فجأة بصوت غريب النبرات :

- أريد .. أريد أن أعود ..

قال 'جون' وقد تملكه القلق :

- كان يجب ألا تخرجي اليوم .

وقادها من يدها حتى أوصلها إلى حيث تقف 'برنيسيس' .

إن إدراكها المفاجئ للحقائق التي يظل كثيف من الحزن على سعادتها

إنها ليست في الواقع إلا لعبة في يد رجل الصناعة الواسع الثراء

الذي مل كل شيء إلا هذه اللعبة ... ألم يقل لها عند وصولها إلى

الجزيرة إنه جاء بها لتسلية؟ وله الآن أن يسعد لأنها قامت بتوظيفها

على خير وجه ...

وتطلب منها طريق العودة طاقة خارقة ، وما كانت تترك جوادها

حتى قال 'جون' لها إنه سوف يطلب حضور الطبيب .

واحتجت 'جودي' قائلة وهي تتفادى النظر إليه :

- لا ... سوف أركن إلى الراحة قليلا ، وسيكون كل شيء على ما يرام .

كانت تكذب من غير شك : الآن وقد فتحت عينيها .. كيف يمكن أن

تفلقهما مرة أخرى .. وكان عليها أن تبتعد عن 'جون' حتى تستطيع

التفكير في هدوء ..

كان هناك خطاب ينتظرها على الطاولة في الصالون الملحق

بجناحها ... واستبد بها الحزن لرؤية أهلها عندما تعرفت على خط

الرسالة المألوف . وأحسنت لأول مرة أن والديها و"نيويورك" ..
 عالمها كله بعيد جدا ... ولا يمكن الوصول إليه .
 وخلف مضمون الخطاب في نفسها شعورا غير متوقع . وأسرعت
 تغامر جناحها وهي مستعدة تماما للمواجهة ..
 كان "جون" يملئ خطاباته على "أفري" في مكتبه . وبيت عليه الدهشة
 حينما وقع نظره على "جودي" وأبتسم في سعادة :
 - "جودي" ... يبدو أن حالتك قد تحسنت ...
 - أنا بخير يا "جون" وأريد أن أحدثك ...
 وأغلقت المرأة الشابة باب المكتب بعد انصراف "أفري" وقالت :
 - لقد تلقيت رسالة من أسرتي .
 - أعلم ذلك ... لقد وصلت صباح اليوم .
 - سوف يعقد قران "نيفيد" ...
 وأبتسم "جون" وهو يقول :
 - أنا مسرور من أجله ، وخاصة لأن أوضاع شركات الملاحة بدأت
 تتحسن ..

إن الفضل يرجع في ذلك إلى مساعداته التي لا يعلم آل "توفين" عنها
 شيئا .. والتي تريح ضميره بعض الشيء ...
 - إن اختيار "نيفيد" ببهج قلب والدي ... إن أخي يحب "ماري" منذ
 عدة سنوات مضت .. ولكنهما كانا يؤجلان عقد قرانهما لعدة أسباب
 أنت تعلمها جيدا ..

وبهش "جون" : لماذا لا تبدو "جودي" سعيدة ؟
 وقالت فجأة :

- لقد مضى علي قرابة الشهر هنا ..
 - هذا صحيح .. !

- ولم أطلب منك أبدا أن تعيد إلي حريتي .
 - ولكن لماذا تقولين ذلك ؟

- لأنني أود أن أعود إلى منزلي ...

الفصل التاسع

قال "جون" بصوت قاطع :

- أنا لا أقبل أبدا عودتك إلى منزلك ...

أغلقت "جودي" عينها وهي لا تعلم إذا كان عليها أن تفرح أو تحزن
 من سلوك "جون" : إن عدم رغبته في البعد عنها يدغدغ كبريائها ولكنها
 لا تستطيع تحمل فكرة كونها سجيناً في هذه الجزيرة ... واستطرت
 قائلة :

- ألم تتسلل معي بما فيه الكفاية ؟ أليست تسليتك معي هذه هي
 التي دفعتك إلى إحضاري هنا ؟

أحس "جون" أنه بدأ يفقد سيطرته على الموقف ، وبدلاً من أن يتابع
 هذا الحوار الخطر ، أمسك بقلمه وراح يكمل كتابة الخطاب الذي كان
 قد بدأه قبل وصول "جودي" :

وقالت هذه الأخيرة بصوت هادئ :

- "جون" ، لن أترك لحالك قبل أن تجيبني ..

- أنت ضيفتي .. ولا أجد عندي ما أضيفه ..

- لماذا إذن تمنعني من الرحيل ؟ تكلم يا "جون" ..

- سبق وقلت لك إنه ضعيفتي ...

- يمكنني إذن الرحيل .

- لا ...

بدأ الغضب يظهر على معالم وجهه .. لماذا تطالب بحريتها بعد هذه الأسابيع الطويلة ؟ وازداد اضطرابه وقلقه وأحس بقلبه وهو ينبض بسرعة . وساد بينهما الصمت الرهيب إلى أن قطعت "جودي" بقولها وبصوت يملؤه الأسى :

- أنا سجيننة إذن ..

واستدارت على عقبيه وغادرت المكان ، وراح "جون" يتابعها بعينه وهو فريسة إحساس قوي غامض : إنها تشكو كونها سجيننة ... ألا ترى الأغلال التي تكبله ؟ لقد غيرته تماما خلال بضعة أسابيع ولا يمكنه أن يلقدها الآن ... لقد أصبحت شمس حياته وربيع وجوده ... كيف يمكن أن يستغني عنها ؟

وعادت "جودي" إلى جناحها وقد استبد بها الحزن : لقد كانت سعيدة مع "جون" في هذه الجزيرة الرائعة ، ولكنها الآن وهي ترى قضبان قفصها النهمي ، لا تشعر بغير الأسى والحزن ، خاصة وأن هذه القضبان تبدو صلبة قوية .

وها هي ذي تفرق بجناحيها طالبة الحرية ، كطائر "جيمي" الأزرق الجميل وأخرجت خطاب "نيفيد" من ظفره بعد أن جففت دموعها لتقرأ مرة أخرى ..

وراح حينئذ يزداد مع كل كلمة ، ودهمتها التفاصيل المألوفة التي ظنت ، في لحظة ما ، أنها نسيتها : صوت "بنثلي" الهادئ ، مقاعد صالة الطعام الموارثة من الأجداد ، المكتبة التي كانت مسرحاً لخيالها الفني الجامح ...

هكذا إذن سوف يتزوج أخوها الحبيب ... إن "ماري" خطيبته قادرة ولا شك على إسعادها ، وشعرت بالفرح حينما تخيلت أن صرخات الفرحة وضحكات الجميع سوف يتردد صداها من جديد بين أرجاء منزلها الكبير ... كم هي أسفة لأنها لا تستطيع أن تشاركهم بهجتهم

وحبورهم .

وعند الظهر لحقت بـ "جون" في صالة الطعام وكان ينتظرها وقد أسند ظهره إلى حافة المدفأة وبداه في جيبه .

وسالها بصوت رقيق :

- هل تشعرين بتحسن الآن ؟

- لا ...

ونظرت إلى مكان جلوسها من المائدة : كانت هناك لفافة صغيرة جميلة موضوعة في الطبق المعد لها ... ونظرت إلى "جون" في تساؤل :

- هيا ... افتحيها .

أرادت أن تخبره أنها لا تقيم وزناً لهداياها ، وأن الشيء الوحيد الذي يهمها الآن هو العودة إلى منزلها بين أفراد أسرتها . ولكنها جلست على كرسيها ، وفتحت اللفافة في خضوع واستسلام : وجدت سواراً من الماس الثمين .

وتمتمت قائلة وقد بهرتها الأحجار الكريمة :

- إنه عظيم ...

وبدت الفرحة على "جون" وهو يقول :

- لقد اشتريته منذ بعض الوقت وكنت أنتظر الفرصة المناسبة لتقديمه إليك ...

وأغلقت "جودي" علبة الجواهر المصنوعة من القطيفة وهي تقول :

- لماذا الآن ؟ لتثبت لي أن جدران السجن الذي أعيش فيه مرصعة بالأحجار الكريمة ؟ ... ما كان عليك أن تفعل ذلك ، فانا أعرف هذه الحقيقة منذ زمن طويل .

وتقلصت عضلات وجهه ونظر إلى "جودي" طويلاً في صمت .

ولم يتبادلا كلمة واحدة طوال فترة العشاء ، وعندما غابت "جودي" صالة الطعام بعد تناول القهوة تركت الهدية في مكانها ..

* * *

ومضى أسبوع .. أطول وأقسى أسبوع مر على "جودي" في حياتها .

- ١٠٥ -

- ١٠٤ -

لقد كنت عن طلب حريتها من 'جون' ، ولكن طلبها هذا ظل معلقا بينهما ، بغرض وجوده عليهما في كل لقاء . وكان 'جون' بتغاضى عن الموضوع وكأنه لم يكن : كان يثرثر مشيراً إلى مشاريعه في المستقبل ويمزح معها لاهياً ... أما هي فلم تكن تعلم موهبة التمثيل هذه : كانت تجيبه باقتضاب ، ولم تأخذ قط بمبادرة الحوار ..

أخذت نعدو بجوانها الساعات الطوال في أرجاء الجزيرة وكان حر الصيف يشعرها بالضيق والملل .. وفي أحد الأيام فكرت أن ترتدي لباس البحر وتلقي بجسدها بين أحضان مياه حوض السباحة المنعشة : إن بعض التمرينات قد ينهب عنها سامها ..

كانت قد سبحت عدة دقائق قبل أن يظهر 'جون' ، وعندما رآته وهو يقترب خرجت من الماء وراحت تلقي بشعرها المبلل خلف ظهرها . وتوسلت إليه بنفراتها أن يتركها وشأنها ...

ولكنه تجاهل توسلاتها الصامتة وقفز إلى الماء . ولظنها أنه لا يرغب في الحديث غطست 'جودي' من جديد في الماء وسرعان ما لحق بها وسألها :

- هل تذكرين آخر مرة سبحت فيها معا ؟

هل كان في حاجة إلى إلقاء هذا السؤال ؟ .. إنها تذكر جيداً تلك اللحظات السعيدة التي أمضتها في صحبته ... والأعجبهما بين الأمواج ، والقبلات السريعة الخاطفة التي تبادلها .. ولكنها رفضت الوقوع في الشرك .

وكرر عليها السؤال :

- أنت تتكررين ... اليس كذلك ؟

- بلى ... أنكر .

واسترسل 'جون' بصوته العميق الدافئ :

- وأنا أيضاً يا 'جودي' : كنت تضعين ثراعاك خلف عنقي وتضعين

رأسك فوق كتفي ... وكان لبشرتك طعم العسل ..

وأغلقت المرأة الشابة عينيها قائلة :

- والملح .. لقد قلت لي ذلك ..

- هذا صحيح .

توسلت إليه أن يصمت ويتركها بمفردها ، وهز 'جون' رأسه ببطء .. لا ... لن أبرح هذا المكان .. أنا لا أطيق البعد عنك ، وأريد أن تنتهي من هذا الشجار السخيف ونعود بعلاقتنا إلى ماكانت عليه . وأجابته 'جودي' :

- لا .. هذا ضرب من الخيال ... إن الأمور لن تعود أبداً إلى ما كانت عليه .

صاح وقد بدا يفقد صبره :

- لماذا ... اشرح لي ..

لقد قضى أياماً وهو يبحث ، دون جدوى ، عن الأسباب التي أدت إلى تغير سلوك 'جودي' ، لماذا إذن هذا التفكير المشلوط في العودة إلى 'نيويورك' .. إنها لم تأخذ بمبادرة الحديث معه منذ أسبوع كامل ... كيف يمكن تفسير هذا التغير المفاجئ ؟ والدموع الدائمة التي تملأ عيني المرأة الشابة ؟

- إنك تحتجزني سجيناً في الجزيرة ..

- هذا غير صحيح ..

- لقد جئت بي إلى هنا بغرض التسلية .

- ربما في البداية ، أما الآن فقد تغير كل شيء .

- لا .. أنا مجرد لعبة بين يديك .

- ولكنك كنت سعيدة .

- لبعض الوقت ... نعم .

- لا أرى سبباً يدعوك إلى تغيير سلوكك وأفكارك .

- لقد رايت القضبان التي أقف خلفها .. هذا كل شيء .

القضبان ؟ ... القضبان ؟ ماذا تعني بذلك ؟ ما عليها إلا أن ترفع

أصبعها الصغير لتراد راعها عند قدميها .. ماذا تريد إذا أكثر من ذلك ..

قال وهو يحاول التحكم في أعصابه واستعادة هيئته :

- 'جودي' .. إنك تقولين أي شيء دون تفكير ..

- هذا ما تظنه أنت .. إنك لا تفهم شيئاً .

- نعم ، إنني أفهم هذا ...

أحاطها بين ذراعيه واعتصر شفتيها في قبلة طويلة وراحت تقاومه بكل ما تملك من قوة وهي تضرب بقبضتيها على صدره .

وقال لها بتوسل :

- لا تبعيني عنك يا "جودي" .. لقد أمضينا معا لحظات سعيدة .. لا اعتقد أنك نسيتها ..

قالت في همس :

- نعم ... أنا أتذكر هذه اللحظات .

- لا أستطيع أبدا الابتعاد عنك يا "جودي" .

راح يقبلها من جديد بحنان كبير وأخذت هي تطيل النظر في عينيه وسمعتة يقول :

- سأعطيك كل ما تحلمين به .

وامتلأت عيناها بالدموع .

- لا أحلم بغير شيء واحد .

وضمن هو ما سوف تقوله وأسدل أهدابه لتقتل من حدة الآلام التي تعتصر قلبه .

وصاحت "جودي" :

- حريتي ...

كانت ترتعد وهي منخرطة في البكاء ودفعته فجأة بعيدا عنها وأسرعت إلى الطرف الآخر من حوض السباحة وهي تقول :

- أريد العودة إلى منزلي ... هل تسمع جيدا ما أقول ؟ ..

إن "جون" يعاني عقدة الذنب ، فهو لا يحتمل رؤية "جودي" وهي تتألم .. وكاد يحس في هذه اللحظة أنه يكرهها ، ولكن عندما راحا تجري مسرعة صوب "الفيلس" ، ودموعها على خديها ، وجه هذه الكرامية إلى نفسه هو ..

واستمرت "جودي" في البكاء وهي معتصمة في غرقتها : إنها تحس باليأس والانهيار أمام سيطرة "جون" على أحاسيسها وعزيمتها .. إنه يوجهها كما يريد بسهولة ويسر .. كيف يمكن التغاضي عن الحقيقة ؟ إن حب "جون" وقبلائته أقوى من رغبتها في العودة والحياة إلى جانب والدها . ولم يستغرق الأمر سوى دقائق معدودات ليثبت لها "جون"

ذلك .

نهب "جون" من جانيبه إلى مكتبه وهو متجههم الوجه وكان أول من قابله هو "أفري" الذي بادره بقوله :

- سيدي ؟

- ماذا تريد ؟

- الأمر يخص الأنسة "كوفين" يا سيدي .

- لن ترحل يا "أفري" ... هل فهمت ؟

- ولكن يا سيدي .

- سوف تتقبل ذلك في نهاية الأمر .

- إن والدها يتقدم لك بطلب محدد : إن شقيق الأنسة "كوفين" يرغب في أن تحضر أخته حفل قرانه ... ولقد أخروا موعد الحفل عدة مرات لهذا السبب ... ولقد اتصلوا بي اليوم تليفونيا ...

وقاطعه "جون" :

- أرجو ألا تكون قد وعدتهم بشيء .

- أتريد أن تقول إنك سوف تمنع الأنسة "كوفين" من حضور حفل الزواج ؟

- بالضبط .

- إنني يا سيدي ...

- يمكنك أن تنصرف يا "أفري" .

وقرأ على وجهه علامات الاحتجاج فبادره بالهجوم :

- اصغ إلي جيدا .. إذا كنت تفكر في تقبيل استقالتك فلا تتردد ولكن فكر جيدا .. لأنني لن أمزقها كما فعلت في المرة السابقة حينما غيرت رأيك .

قرر "جون" في المساء ، رغبة منه في تغيير أفكاره ، الذهاب لتناول قندح من الجعة مع "سام" . وفي طريقه إلى جانب حوض السباحة شاهد "جودي" وقد أضاء ضوء القمر وجهها .. كانت في جلستها

الهادئة لوحة رائعة للرقعة والأثونة.

والترفيه هذا المشهد أكثر من طلباتها المتكررة في الفترة الأخيرة .
إنه يعلم أنه بدأ يفقدها ببطء ، وبطريقة لا رجعة فيها .

ادارت 'جودي' رأسها فجأة ، وكان حاسة ساسية قد نبهتها إلى
وجود 'جون' بالقرب منها ، وتلاقت نظراتهما وأحس بثقل ضخم
يجثم فوق صدره .

وسمع فجأة صوت الرعد وهطلت الأمطار بغزارة . وبقي 'جون'
جامدا في مكانه ، واقتربت منه 'جودي' وقد ارتسمت على وجهها
علامات القلق .

وامرها بصوت أجش :

- اسرعي بالذهاب إلى 'الفيل' .

- لن أعود إلا في صحبتك .

وكانت تفلت من فمه ضحكة ساخرة : ماذا يعنيها امره ؟ ألا تريد أن
تتركه وترحل ؟

- 'جون' .

- أرى اهتمامك بي ضربا من السخرية ..

وعندما رأى ثياب 'جودي' مبللة تماما صاح بها نافذ الصبر :

- اسرعي إلى الداخل وساتبعك بعد قليل .

- سوف تصاب بالبرد .

- قلت لك انهبي ...

ولما رأى الدموع تنهمر من عينيها احتوى وجهها براحتيه : إنه
يستطيع أن يجبرها على البقاء سجين في الجزيرة .. ويتجاهل
رغبتها في الرحيل .. فسوف تنسى أقاربها بمرور الزمن وتذعن
لمصيرها .. لن تكون تعيسة وسيسهل هو على ذلك .. سيعطيها كل ما
تصبو إليه أمة امرأة .. كل ما يملكه .. حتى قلبه وروحه ...

كان يترك في نفس الوقت أن هداياه الثمينة لن ترضيها أبدا لأن
رغباتها المادية ليس لها أي تأثير عليها . وترك ذراعيه تسقطان إلى
جانبيه .

وإدار لها ظهره وتوجه صوب المنزل وعند الباب تنحنى جانبا

ليسمح لها بالدخول .

وشعرت 'جودي' بانقباض قلبها ، لقد بدا لها حزنها في هذه
اللحظة هشا متواضعا إذا قيس بالآلام التي يعانيها 'جون' : إنها على
الرغم من خطورة الموقف مازالت تحبه .

وهضمت قائلة :

- 'جون' ... أنا ...

تقلص وجهه وكساه ذلك القناع الغامض الذي حاولت هي نزعها منذ
اليوم الأول الذي وضعت فيه قبعها على جزيرة 'سان ستيفن' ... قناع
القوة الوحشية . وأحست بالخوف وهو يصبح بصوت فيه بحة :

- اصمعي .. لا تقولي شيئا ... لا تنطلي بكلمة واحدة ...

وتركها وانصرف لا يلوي على شيء ..

ذهبت 'جودي' في الصباح إلى حظيرة الجياد ووجدت 'برنيسين'
على أمة الاستعداد ... إنها لم تنم ليلتها وسوف تقيدها هذه الجولة
المبكرة .

قالت :

- صباح الخير يا 'سام' .

وأجابها باقتضاب :

- صباح الخير ...

وسألتها في خشية :

- هل هناك ما أساء إليك ؟

ولم يجيبها 'سام' في الحال . متظاهرا بالانشغال بالعمل ، ثم انفجر
فجأة قائلا :

- منذ أسبوعين نعيش في حزن وأسى وكأننا في ماتم .. وكثيرا ما
ينفجر 'ماكفارلاند' غاضبا ، وفي أوقات أخرى يبدو كاشيح .. أما أنت
فببدو أنك تقضين وقتك في البكاء ..

وأحست 'جودي' بالحرج الشديد ، واسترسل 'سام' في حديثه

- هل صب عليك 'جون' جام غضبه مرة أخرى ؟

- لا ..

- هل يعيب عليك شيئاً ما ؟ ..

- لا ... إن الأمر مختلف هذه المرة ..

ونقدم 'سام' خطوة نحوها وقد وضع يديه في خصره وقال :

- هل تحبينه .. ؟ نعم أم لا .

احمرت وجنتاهما وأجابت بون ترد :

- نعم ...

- هذا ما ظننته .

- ولكن الحب لا يضع الحلول لجميع المشكلات .

- أرجوك .. افعلي أي شيء . فقد أصبح جو الجزيرة لا يطاق .

وهزت 'جودي' رأسها ... إن كل شيء يبدو سهلاً في نظر 'سام' .

وعاود هذا الأخير حديثه قائلاً :

- يجب أن تجدي حلاً لهذا الشجار الذي لا ينتهي ... ويسرعة ...

قبل أن يقدم جميع العاملين عند 'ماكفارلاند' استقالاتهم .. وأؤكد لك

أنهم قاب قوسين أو أبعد من فعل ذلك .

راحت 'جودي' تعدو بمهرتها عدة ساعات متصلة وحديث 'سام' لا

يفارق أفكارها وعند عودتها أخبرتها إحدى الخاديمات أن 'جون' يرغب

في رؤيتها في أقرب وقت ممكن .

وأخذت حماماً سريعاً ، وعندما وصلت أمام باب المكتب استقبلها

'فري' بابتسامة عريضة وقد بدا عليه الارتياح .

- تفضلني بالدخول ، إنه في انتظارك .

ووجبت 'جون' مستغرقة في الكتابة . وانتظرت عدة لحظات قبل أن

يرفع رأسه وينظر إليها ثم يدعوها للجلوس ... وقال أخيراً :

- لقد اتصلت بـ 'نيويورك' هذا الصباح .

هزت رأسها وقد استبدت بها الدهشة للشديدة .

وعاود حديثه قائلاً :

- إن الباخرة تغادر الجزيرة في تمام الساعة الخامسة صباحاً كل

يوم ولكن الطائرة العمودية ستكون تحت أمرك غدا ...

- أتريد أن تقول

- إنك حرة ... بالضبط .

ومر بعض الوقت قبل أن تترك 'جودي' حقيقة الموقف وأحست فجأة

أن حملاً ثقيلاً قد انزاح من فوق كتفها .

- 'جون' .

- سوف تصلين في الوقت المناسب من أجل حفل قران أخيك ...

ارتسمت بسملة عريضة على شفتي المرأة الشابة وهي تقول :

- 'جون' ... أشكرك ...

ولكن هذا الأخير انغمس فجأة في عمله ...

- 'جون' .

- أرجو المعذرة فليس عندي وقت للنقاش ..

جاء صوته البارد الجاف بمثابة صفعه على وجهها وثم نهضت وقد

تقلصت أصابعها .

- لن أنساك أبداً يا 'جون' ... ولن أنسى هذه الجزيرة كذلك .

واستمر في عمله كأنه لم يسمع كلمة مما يقال .

- إذا لم يقدر لي أن أراك ...

ونظر 'جون' إلى ساعته ورفع سماعة التليفون وراح يدير القرص .

وتيلورت دموع الغضب والحزن في عينيها ثم تركت الغرفة رافعة

رأسها في كبرياء ...

في ذلك المساء تناولت 'جودي' عشاءها بمفردها . إنها لم تحس في

يوم من الأيام بكبر حجم المائدة ووحشة الطعام كما هو الحال

اليوم . لقد أمضت بعد ظهر اليوم في الاستعداد للرحيل ، وكانت

حقيبتها تنتظرها قرب باب الخروج واختفت حاجاتها المألوفة من

أرجاء الغرفة التي بدت مهجورة باردة . لقد ودعت الأطفال وزارت

حظيرة الجياد لتعطي السكر ، للمرة الأخيرة ، لـ 'ميننايت'

وبرنيسيس، وأعرب 'سام' عن عدم رضائه عن قرارها عندما أحاطته علما بقرب رحيلها ..

اعتقلت أنها سوف تستغرق في النوم سريعا بعد أحداث هذا النهار المرهقة ولكنها ، لم تهبط ، لم تجد إلى النوم سبيلا . ورات قرب منتصف الليل عندما ذهبت إلى المطبخ لتتناول قنحا من اللبن ، خيطا من الضوء يتسرب من تحت باب المكتبة . فتحت بهدوء وشاهدت 'جون' جالسا إلى مكتبه وأمامه زجاجة من الشراب نصف فارغة . واعتدل في جلسته عندما وقع بصره عليها ...

- ماذا تفعلين هنا ؟ ... كنت أظن أنك قد رحلت بالفعل ..

- ستغادر الطائرة العمودية الجزيرة صباح الغد ... لماذا تشرب هكذا يا 'جون' ؟ ! ..

وضحك في مرارة وهو يقول :

- لاحتقل برحيلك ..

- 'جون' .. أنا ..

وصوب إليها نظرة قاسية ألزمتها الصمت .

- كان يجب أن أتركك ترحلين من مدة طويلة .

كان يمكن لـ 'جودي' أن تغادر المكان وهي تقول لنفسها إنه قد افترط في الشراب ولا يعي كل ما يقوله ، ولكنها ظلت جامدة في مكانها لسبب تجهله ، ربما لتعلم إلى أي مدى سوف يتمادى في أقواله .

- أنا لا أتدم إلا على شيء واحد : أنني لم اتخذك محظية لي .. اتعرفين لماذا؟ لأنني أحترمك ..

كانت كل كلمة من كلماته تلهيها كالسيات ... ما أكبر الأسى الذي يكابده 'جون' !

ومد يده ورفق زجاجة الشراب إلى فمه وراح يحتسي محتوياتها وهو نائم التحديق إليها ..

- ألا تزالين هنا ؟ ماذا تنتظرين بالضبط ؟

عجزت عن الرد وراحت تهز رأسها ببطء والدموع الغزيرة تنهمر من عينيها وصاح بها :

- اخرجي من هنا ... اخرجي من بيتي .. اخرجي من حياتي .

كانت 'جودي' تود أن تأخذه بين براعها لتتمتع غضبه والامه .

- إلا تسمعين .. اخرجي ..

وهمست هي للمرة الأخيرة :

- إلى اللقاء يا 'جون' .

ولم تنقدم عدة خطوات حتى سمعت صوت الكوب وهو ينهشم على الأرض ..

- الوداع يا أميرتي ... يا حبيبتي العزيزة .

كانت هذه آخر كلماته التي حملتها معها وهي تغادر المكان .

انتظرت 'جودي' في غرفتها طوال الليل حتى مطلع الشمس وجاءت خادمة غرفتها في الرابعة صباحا لمساعدتها في إنهاء تجهيزاتها . وكان 'أندرسون' ينتظرها في الطابق السفلي ليصحبها إلى حيث مرسى الباخرة . وصافحت المرأة الشابة يد مساعد 'جون' والدموع في عينيها ، ثم 'سام' الذي جاء ، في الدقيقة الأخيرة لوداعها .

وانتظرت إلى أن ابتعدت المعبدة قليلا قبل أن تستدير لتلقي نظرة أخيرة على جزيرة 'سان ستيفن' ، وشاهدت من بعيد شخصا ثالثا يقف على مبعدة من الآخرين . كان 'جون' ماكفارلاند ينظر إلى المرأة الوحيدة التي أحبها في حياته وهي تبعد وتختفي .. لقد ضحى التضحية الكبرى عندما قرر إعطائها حريتها . لا شك أنها ستكون المرة الأولى والأخيرة في حياته التي سيبتدي فيها مثل هذا .. المساء ... !

قد أثر فيه تأثيرا بالغا : وجدته ، وكأنه قد كبر عشر سنوات ، دائم
التجهم والعبوس .

- لقد عاملك بوحشية ... قولي الحقيقة ...

وقالت 'جودي' محاولة القضاء على مخاوف والدها بابتسامة
عريضة :

- لا على الإطلاق ... إن 'جون' جنتلمان حقيقي .

- تقولين ذلك لإسخال الأطمئنان على قلبي ... لقد كنت أموت كمدأ

وحزنا وأنا أتخيلك وحيدة مع هذا ... الوحش المفترس .

- لم أكن وحيدة معه يا أبي ، وأؤكد لك أنك تخطئ الحكم عليه .

وكان عليها مع ذلك أن تستمع إلى الاتهامات الفظيعة التي يكيلها

أبوها لـ 'جون' ... كانت بعيدة تماما عن الحقيقة مما جعلها تسرح

بتفكيرها بعيدا ... إلى جزيرة في البحر الكاريبي تبعد آلاف الكيلو

مترات وتثبت في تربتها أجمل الأزهار ويعيش على أرضها أرق

الأطفال ويحكمها أمير يعيش بين أحضان العزلة ..

- هل تسمعينني يا 'جودي' ؟

- عفوا ... ماذا تقول ؟

وتبادل الأب والابن نظرات قلقة ثم قال 'ديفيد' :

- لابد أنك تدركين أنني عشت مع والدي أياما يملؤها القلق الشديد

من أجلك إننا لم ننجح مرة واحدة في الحديث تليفونيا مع 'ماكفارلاند'

شخصيا رغم أننا طلبناه مئات المرات ... لقد كان مساعده هو الذي

يتلقى هذه المكالمات وبهذه المناسبة كيف تجددين 'اندرسون' هذا ؟

- 'آفري' ؟

- نعم ... أؤكد لك أنه ماهر جدا في التهرب من الإجابة عن الأسئلة .

- إنه شاب رقيق ... مهذب ...

واحتقن وجه والدها غضبا وهو يقول :

- مهذب ! أنا لا أفهمك يا 'جودي' ، سوف تقولين بعد قليل إن 'جون'

فديس .. وعلت الحمرة وجهها وهي تتذكر المرات العديدة التي تبادلت

فيها القبلات مع 'جون' وقالت :

- نعم ، إنه كذلك من وجهة نظر معينة ..

الفصل العاشر

كانت الضوضاء هي أكثر شيء فاجأ 'جودي' : ضوضاء سيارات

الناكسي والأوتوبيس وحركة المرور ... الصرخات والضحكات ...

المذياع ... لقد تعودت أنهما على الصمت الهامس في الجزيرة ...

وراحت تكرر لنفسها : ولكن ماذا تلبد المقارنة ؟

خيل إليها في الأيام الأولى من عودتها أنها انتقلت إلى كوكب آخر :

لقد بدت لها الحياة العادية التي كانت تحياها من قبل كأنها غير

حقيقية اليوم : إنها تعلم أنها سوف تعود إلى عاداتها القديمة بمرور

الأيام فهي لم تمكث في جزيرة 'سان ستيفن' غير أشهر معدودة .

وبعد ثلاثة أو أربعة أيام من عودتها ، وعندما كان آل 'كوفين'

يتناولون طعام الفطور في صالة الطعام الكبيرة وضع 'شارل' يده

فجأة على يد ابنته قائلا :

- أنت تفكرين في 'ماكفارلاند' ، اليس كذلك ؟

- 'ماكفارلاند' ؟

كان القلق الشديد يرتسم على وجه 'شارل' وكان انفصاله عن ابنته

وساد صمت متوتر بعد هذا التصريح غير المتوقع .
وصاح "شارل" قائلاً :
- إن رجلاً ينزل مثل هذا الهوان بأسرة باجمعتها لجدير بالذهاب إلى جهنم .

- إنك لا تعرفه يا أبي ... ماذا فعل لكي تتحمل عليه هكذا ؟
- لقد حاول بداية أن يجبرنا إلى الإفلاس .
- لقد قلت لي بنفسك إن خطر الإفلاس قد زال تماماً .
- ولكن ذلك لم يمنع "ماكفارلاند" من تحريكنا كعرائس المسرح ..
- لقد قال لي ذات مرة إنه يكن لك الكثير من الاحترام .
- فليذهب إلى الجحيم هو واحترامه هذا .
ومنعت "جودي" نفسها بصعوبة من البفاع عن "جون" ... فبماذا سيفيد ذلك؟ فلن يغير أبوها ولا "ديفيد" رأيهما فيه ... لأنها لو كانت مكانهما لأحست بنفس الشعور بالغضب والحقن ... ولهذا فلن تبوح أبداً بحبها لـ "جون" .

قال "ديفيد" وهو يقطع رغيفاً من الخبز :
- هل تحدث له مثل هذه الأشياء كثيراً ؟
لم تفهم "جودي" ما يعنيه أخوها بقوله هذا .
- أعني هل توجد هناك نساء أخريات في الجزيرة ؟
- نعم ... هناك عدد من النساء بكل تأكيد ...
- إن هذا الرجل يعتبر خطراً داهماً على الأخلاق .
لم تعد "جودي" تحتفل هذه الإهانات .
- أعلم أنني سأكذب ظنك ، ولكن "جون" رجل طيب ورقيق ... لقد عاملني بكل احترام طوال فترة إقامتي بالجزيرة ..
- ولكنه احتجرك كسجينة ... نعم أم لا ...
- لقد منحني حريتي عندما طلبتها منه .
ومرة أخرى أدهشهما هذا التصريح الجديد .
- أتزعمن أنك لم تبدي رغبتك في الرحيل مرة واحدة خلال الأشهر الثلاثة التي أمضيتها في الجزيرة ؟
قالت وهي تعلم أنها تخفي جانباً من الحقيقة :

- بالضبط ...

وراح كل من الأب والأبن يحقن إليها بدمشة بالغة ... وقالت "جودي" وهي تتنهد :

- كيف أشرح لكما الأمر ؟ إن الجزيرة هي جنة حقيقية .
وساد صمت ثقيل صالة الطعام . ونهضت "جودي" للفتها أنها قالت ما فيه الكفاية . وأمسك أبوها بذراعها في اللحظة التي استعدت فيها لمغادرة الغرفة .

- لا أستطيع أن أعبر لك عن مدى سعادتي بعودتك .
- وأنا كذلك يا أبي .

وصعدت إلى غرفتها وأخذت تنظر في أراجائها بعيون جديدة : أحببت هذه الغرفة ولكن المرأة التي خرجت منها منذ عدة أشهر تختلف تماماً عن تلك التي تبخلها الآن ... لقد عرفت الأخيرة "جون" ماكفارلاند هذا هو كل الفرق .

وحاولت تحليل أحاسيسها : من الطبيعي أن تشعر بالحنين للجزيرة ، لقد كانت تحن لـ "نيويورك" نفس الحنين حينما نعتبت إلى هناك ...

وقطعت طريقة خفيفة على الباب مسار تفكيرها وصاحت قائلة :
- ادخل ...

إنها "ماري" أشلي خطيبة "ديفيد" .
- هل أنت مستعدة .

- تمام الاستعداد ... كنت أحلم خلال أسابيع مضت أن أزور محال "مناهن" مع زوجة أخي المقبلة .

- هذا لحسن حظنا فما زالت هناك أشياء كثيرة تنقصنا إذا و"ديفيد" ، لهذا سوف نمضي النهار بطوله في زيارة الأسواق .
وانفجرت ضاحكة ثم استطربت قائلة :

- هل تعلمين أنني أجهشت بالبكاء عندما طلب "ديفيد" يدي للزواج ؟
- وبعد دقيقتين تعلقت برقبته وأنهالت عليه تقييلاً ، اليس كذلك ؟
- لقد قال لك كل شيء بالتفصيل ...

- أكثر من عشر مرات منذ عولتي . أنا لا أعلم أيكما أكثر سعادة من

الأخر.

وأجابت 'ماري' دون تردد :

- أنا .

وهبطت المراتان درجات السلم بسرعة ودلفتا إلى الشارع حيث تلقى سيارة 'ماري' المكشوفة السطح بمحاذاة الرصيف .

التزمت كل منهما بالوعد الذي قطعته على نفسها ، فزارتا المتاجر الكبيرة المنتشرة في الحي حتى أخذ منهما التعب كل مأخذ وعادتا إلى المنزل منهكتين .

وصاحت 'جودي' قائلة :

- 'بننتلي' ، لقد وصلنا .

وجاء رئيس الخدم وعلى شفثيه شبه ابتسامة ، وساعد المراتين على وضع حصيلته مشترياتهما على المنضدة الرئيسية في الصالون ، وقال بعد أن فرغ من عمله :

- لقد وصلت بعض هدايا الزواج بعد ظهر اليوم ...

قالت 'ماري' في دهشة :

- هنا ؟

وسألت 'جودي' :

- واين وضعتها يا 'بننتلي' ؟

- في المكتبة .

وقالت 'ماري' وقد نست ما تحس به من إرهاق .

- هيا لنراها ...

وقال 'بننتلي' :

- لقد نزعنا عنها أغلفتها .

أصيبت المراتان بالدهشة البالغة فور دخولهما إلى المكتبة : كان المكان مليئا باللوحات المميّنة والتمائيل ومختلف التحف : إنها نفس الأشياء التي اضطر والد 'جودي' إلى التصرف فيها عندما كان مهيدا

بشبح الإفلاس .

قالت 'ماري' وهي تقترب من أحد التماثيل النصفية وتلتقط نظرها مقلقا :

- ولكن من الذي أرسل لنا كل هذه التحف ؟

عرفت 'جودي' الحقيقة قبل أن تلغض 'ماري' الطرف وتخرج منه البطاقة وقالت صالحة :

- 'جون' ماكفارلاند !

وأسلت 'جودي' أهدابها ... إنه 'جون' ... 'جون' حبيبها .

رأت 'ماري' في الحال مقدار اضطراب صديقتها وسألتها :

- ماذا بك ؟ ألسنت على ما يرام ؟

ولتحت 'جودي' عينها :

- أنا بخير .. لماذا تسألين ؟

- خيل إليّ خلال لحظات أنك سوف تفقدين الوعي .

- إنه الإرهاق من جراء جولة بعد الظهر ... اعتقد أن فنجانا من الشاي يمكن أن يعيد إلينا بعض الحيوية .

لم يغب عن 'ماري' تظاهر صديقتها بالمرح الكاتب وقالت :

- هيا يا 'جودي' اجلسي وقصي علي كل شيء ... أريد أن أعرف القصة من بدايتها حتى نهايتها ..

أطاعتها 'جودي' في الحال ، فقد كانت تحس برعشة تسري في جميع أوصالها . وقالت 'ماري' :

- 'بننتلي' ، احضر لنا قهحين من الشاي .

وأجاب هذا الأخير :

- في الحال يا أتنسة 'أشلي' .

وابتسمت 'جودي' رغم اضطرابها الشديد ..

- أراهن أن الجميع هنا في أقل من عام واحد سوف يطيعونك بمجرد الإشارة !

- أمل أن يكون 'نيقيد' واحدا منهم .

وصلت صينية الشاي ، وقالت 'ماري' وهي تقدم قدحا لصديقتها :

- من غير الضروري أن تطيلي البحث عن مدخل لقصتك ... لقد

خمنت منذ زمن طويل أنك تحببته ..

وهزت 'جودي' رأسها :

- هذا صحيح . ولكن أسرتي تكرهه لسوء الحظ . إن الجميع هنا يعتبرونه وحشا .

- فليما عداك أنت .

- اه ! لو علمت الحقيقة .. لقد كان يخيفني في البداية ولكنني اكتشفت . بمرور الأيام والأسابيع أنه رجل ضعيف هش ... بشكوكه ومخاوفه وآلامه المكبوتة .. وعرفت سخاهه ورقته .

- يعتقد 'نيليد' وأبوك أنه عاملك أسوأ معاملة .

- هذا غير صحيح إطلاقا .

وراحت 'ماري' تهز رأسها وهي تقول :

- وماذا ستفعلين الآن ؟

أخذت 'جودي' تنظر في عيني صديقتها طويلا ثم قالت وكأنها تحدث نفسها :

- نعم ... إن الحياة بدونك ليس لها طعم .

- ولكن ... والدك يا 'جودي' ... إنه ...

- أعلم ما تريد أن تقوليه : إنه بفضل الموت على أن يراني هناك في الجزيرة .

وقالت 'ماري' :

- اترك لي بعض الوقت . وانظري ماذا حدث لـ 'نيليد' ولي .

لم تفهم 'جودي' ما تعنيه صديقتها ، فاستطربت هذه الأخيرة قائلة :
- كان علي أن انتظر خمس سنوات كاملة ... كان يقول لي دائما إنه من الممكن أن تمر سنوات طويلة قبل أن تعود الأعمال إلى حالة الزواج القديم ويستطيع هو أن يقوم بتأسيس أسرة ... وكان يتوسل إلي أن أتركه .

- ما أقوى صبرك .. !

- لقد بلغ به الأمر أن قمنني إلى أحد أصقاعه أملا أن أقع في حبه واتزوجه ولما رأى الأمور لا تسير كما يشتهي ...

شجعتها 'جودي' على متابعة الحديث بأن سألتها في رقة :

- ماذا حدث بعد ذلك ؟

- كنت متمسكة به ... إنني لم أعرف رجلا غير 'نيليد' ، لقد عرفت بجانبه طعم الحياة الحقيقي ... لطالما نهرتني لكيلا أضيع حياتي هباءً على حد تعبيره .

وتذكرت 'جودي' وهي تصغي إلى حديث صديقتها ليلتها الأخيرة في الجزيرة والكلمات القاسية الجارحة التي نطق بها 'جون' : إنه يحبها وهي لا تشك في ذلك ولكنه لم يتوسل إليها لكي تبقى إلى جانبه، كما أنه لم يخبرها بمقدار تمسكه بها .

واستطربت 'ماري' قائلة :

- لم أكن أصدق كل ما يقوله لي من أجل استعادة حريتي والانتقام إلى مستقبلي وكنت أعلم الأسباب التي تدفعه إلى مثل هذا الكلام ..

- أظن أنه لم يستسلم بسهولة ..

- لا ... لقد حاول أن يكون فظا غليظ القلب معي ... ولكنه كان مجرد تمثيل وكنت أعرف الأسباب الكامنة وراء هذا السلوك ... وأرغمني على أن أكون أكثر عنادا منه .

أخذت 'جودي' يد صديقتها بين يديها قائلة :

- أرجو أن يدرك مقدار حسن حظه بوقوعه في شركك .

وقالت 'ماري' :

- لقد جاء دورك لتثبت لي هذا الرجل أنك عنيدة ولا تستسلمين أبدا للباس .

قالت 'جودي' وهي ما زالت ممسكة بيدي صديقتها :

- وجدت 'جون' عشية يوم رحيلي مخمورا في مكتبه وقال لي إنه مسرور لأنه استطاع أن يتخلص مني أخيرا .

- وبماذا أجبت .

- لم أجبه بكلمة واحدة .

- حسنا فعلت .

- لماذا ؟

- لأنه لم يكن يؤمن بكلمة واحدة مما يقول .

- أعلم ذلك ، فقد كان يتالم .

وابتسمت 'ماري' .

- لابد وأنه يحس الآن بالنتب .

- لماذا تقولين ذلك ؟

وأشارت 'ماري' إلى الهدايا العديدة المنتشرة في أرجاء الغرفة قائلة :

- افحصي عينيّك وسوف تفهمين كل شيء .

- ولكن ...

- لا مجال هناك للاعتراض . سوف تعوين إلى الجزيرة .

- ولكن أبي وديفيد .

- مع من ستقضين بقية حياتك ؟ معهما أم معه هو ؟ هل تعتقدين

أنهما سيقران عظم تضحيّتك !

واقترعت 'جودي' أخيراً ولم تمض لحظات حتى اتخذت قرارها ..

واعطاها هذا الحديث مع زوجة أخيها الشجاعة الكافية ليس لمواجهة والدها وشقيقها فقط بل لمواجهة جيش باكملة ، وراحت تنتظر اللحظة المناسبة لإعلان قرارها : حفل الاستقبال الذي سيعقب عقد قران 'ديفيد' و'ماري' .

وقالت فجأة :

- أبي ... أريد أن أقول لك شيئاً ...

وصالح يد أحد أصغائه القدامى ثم استدار لمواجهة ابنته وهو شارده الذهن :

- ماذا تريدين ؟

- أنا أحب 'جون' ماكفارلاند .

وانتظرت وقوع الانفجار .. بركان الغضب ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث .

- كنت أعلم ذلك ... تريدين أن تذهبي إليه ... اليس كذلك ؟

وامتلأت عيناها بالدموع .

- نعم .

- متى ؟

- في القريب العاجل .

- هل سيتزوجك ؟

قالت وهي تغمر بعينيها لزوجة أخيها :

- من مصلحته أن يفعل ذلك .

وهز 'شارل' كتفيه متسائلاً :

- لماذا ؟

- لقد تراجعت أنا و'ماري' : من منا سوف تهيك الحفيد الأول ...

ومسح 'شارل' دموعه براحة يده :

- ماذا تنتظرين إذن ؟

وأخذها بين ساعديه وضماها إليه بشدة وهو يقول :

- كوني سعيدة يا بنيتي .

- أنا واثقة من ذلك .. هل ستأتي لزيارتي ؟

- إذا أراد هو ذلك .

- ثق أنني سوف أقتعه .

اقتربت الباخرة أخيراً من مرسى 'سان ستيفن' وابتسمت 'جودي'

'ويلسون' وهي تضع قدمها على أرض الجزيرة .

قالت 'جودي' وهي تضع حقيبتها على الأرض :

- صباح الخير يا 'ويلسون' .. هل يستطيع السيد 'ماكفارلاند'

استقبالي .

- أظن ... أظن ذلك . هل هو على علم بهذه الزيارة ؟

- لا .. من فضلك قل لأحد الخدم يحمل مناعي إلى غرفتي .

- بكل تأكيد .. سيتم ذلك في الحال يا آنسة 'لوفين' .

- شكراً يا 'ويلسون' .

عندما وصلت 'جودي' إلى 'الفيلا' كانت تحيط بها كوكبة من

العاملين ... كانوا جميعاً يتحدثون في نفس الوقت وقد بلغ بهم الخائر

مبلغه وانضم إليهم 'سام' وهو يلهث وسرعان ما خاطبها قائلا :

- يا إله السموات .. لقد طال غيابك ..

- لم يمض على رحيلي أكثر من أسبوعين ...

- إنه زمن طويل ..

- كيف حاله ؟

ولاحظت 'جودي' بعض العاملين يهزون رؤوسهم في أنس ..

وقال 'ويلسون' ..

- لقد أمر بفصلي من العمل ثلاث مرات على الأقل خلال الأسبوع

الماضي ..

وقال رئيس الطهاة :

- يقول إن ما أقدمه من طعام لا يليق بالبشر ..

وقال 'سام' مطمئنا الجميع :

- بعودة الآتية 'تولين' سوف تعود المياه إلى مجاريها ، وعلى كل

حال أرجو عندما تبتلعين عن 'جون' أن تلفحي لنا عن قراك حتى

ترحل جميعا معك ..

- لا تخشوا شيئا فلن يحدث ذلك ثانية ..

كابت الدهشة تفقد 'أفري' وقاره عندما وقع بصره على 'جودي' ،

وسألته هذه الأخيرة بدون مقدمات :

- أين هو ؟

- في ... في المكتبة .. لقد قمت برعايته حسب طلبك ..

- لا أشك في ذلك يا 'أفري' ... شكرا ..

وجمعت شجاعتها ودفعت الباب وبخلت : كانت هذه هي الغرفة

التي راته فيها في المرة الأخيرة ، وهذه المرة هي التي ستتكم عليه

هو أن يستمع ..

قال عندما شعر بوجود شخص في الغرفة :

- لقد نبهت على الجميع بالا يزعجني أحد ..

انقبض قلب 'جودي' وهي تنظر إلى 'جون' وهو قابض على كرسيه

خلف المكتبة : لقد ازداد تحولا وارتسمت التجاعيد العميقة على جبهته.

وقالت بصوت ناعم رقيق :

- 'جون' ... أنا 'جودي' ..

- 'جودي' ؟

- لا يا 'جون' ، لا تطالبني بالتصريف لأنني لن أطيعك ..

وانهار 'جون' في كرسيه : إنها تعرفه جيدا .. فما كاد يراها حتى

تداخلت الكلمات على شفثيه ليأمرها بالخروج من هذه الغرفة والعودة

إلى بيتها وأسرقتها كان عليه أن يحميها ، بأي لمن ، من نفسه ..

- لقد كان حفل قران 'تيفيد' رائعا وهكذا سيكون حفل قراننا نحن ..

سوف نرى ...

وقال بصوت ساخر :

- حفل قراننا نحن ؟

- نعم ... حفل قراننا ... لأنك سوف تتزوجني يا 'جون' ...

- يا لها من ثقة في النفس لا حدود لها ...

- ربما ..

أخذ يتحسس وجهه براحة يده ، لكي يتأكد ، من غير شك أنه لا يحلم.

- 'جودي' ... اصمتي .. لاتقولي مثل هذه الأشياء فسوف يزداد المي

لإرسالك ثانية إلى أسرتك ..

- لا تضع وقتك سدى يا 'جون' ، فلن تنجح في ذلك ..

وغمض عينيهِ وقل صامتا خلال مدة طويلة ثم قال بصوت ضعيف :

- 'جودي' .. هناك في نيويورك مئات الأشخاص القادرين على

إسعائك وتوفير الحياة التي تستحقينها لك ، والأستحواذ على رضا

والك ... لقد كان على حق فانا لست إلا حيوانا ...

أحست 'جودي' ببعض الدوار وقد تذكرت كلمات 'ماري' خصوصا

تلك التي تخص سلوك 'تيفيد' ومحاولاته إبعادها عنه ..

- إنه أنت الذي أريد يا 'جون' ... أنت ولا أحد غيرك ..

- لقد أخطأت في إرغامك على الحياة في هذه الجزيرة ..

- وأنا والقة أنني أحبك ولم أخطئ أبدا في العودة إلى هنا ..

وأصابته الرعدة وكأنه تلقى منها صفعه قاسية :

- إنك تستحقين من هو خير مني ألف مرة .. إنني حينما أفكر في

اللام التي سببتها لك ولأسرتك ...

- إن المجيء إلى هذه الجزيرة غير من حياتي تماما : لقد قابلتك وأنا
أحبك يا 'جون' ولا أطلب منك غير شيء واحد : أن تحبني بنورك ...
وداعته الرعشة من جديد وتقلصت عضلات وجهه وراح يتحسس
وجهها برقة متناهية :

- أعلم أنني أحبك منذ اللحظة التي أريتني فيها كيف استطعت
استئناس 'ميدنايت' .. بل قبل ذلك بالتأكيد ...
وتنقمت صوته وهي تحقق فيه - وتهض 'جون' .. ولفت لراعياها
حول عنقه :

- أه يا 'جون' ، إن الحياة بدونك لا معنى لها . لقد كففتي ساعات
قليلة بعيدا عنك لأدرك هذه الحقيقة ... إن مكاني هنا ، وليس في أي
مكان آخر ...
- 'جودي' ... !

وراح يبحث عن شفتيها في نهم وتخللت أصابعه شعرها الطويل
وضمها إليه بقوة ليحس بوجوبها إلى جانبه ... تلك الوجود الذي
حرم منه أسبوعان كاملان .
وقال لها أخيرا :

- لقد احتل الشتاء القارس هذه الجزيرة الدافئة منذ رحيلك .
- وجاء الصيف من جديد ... الصيف الدائم ...
- نعم أنا أحبك يا 'جودي' الجميلة ... لا أعلم لماذا تريدان الزواج
بي ولكني أريدك زوجة لي .

- لدي أسبابي ... يجب أن أحيطك علما برهاتي مع زوجة أخي .
وجلست على ركبتَي 'جون' وقربت شفتيها من أذنه ...
تعالَتْ ضحكات 'جون' ووصلت صداؤها إلى ما وراء أبواب المكتبة
وتتهجد الأشخاص السبعة الذين كانوا يقفون في الغرفة المتاخمة في

انتظار تطورات الموقف . بارشياح عميق .
ونشرت السعادة جناحيها على جزيرة 'سان ستيفن' .

(تمت بحمد الله)

mjerko
- ١٢٨ -